مفاهيمُ

الصَّلاة والتسليم على الأنبياء

تأليف

أ.د. عقيل حسين عقيل

2018م

المحتويات

المقدِّمةُ	5
الصَّلاةُ على النَّبي	8
الصَّلاةُ شيئًا:	8
الصَّلاةُ مفعولةٌ	9
الصَّلاةُ تُفعل	10
الصَّلاةُ تُقام	10
أوجه الصَّلاةُ على النَّبي	11
الصَّلاةُ على النَّبي فعلٌ مستمرٌّ:	17
الصَّلاةُ على النَّبي ذكر لله	18
الصَّلاةُ على النَّبي بين المفهومِ واللُّغة	22
الصَّلاةُ والتسليم على النَّبي	25
الصَّلاةُ والتسليم قولًا	30
الصَّلاةُ والتسليم فعلًا	31
الصَّلاةُ والسَّلام على النَّبي تنفيذُ أمرٍ	33
اللَّهُمَّ صلّي وسلّم على مُحمَّد	34
سلِّموا تسليمًا	37
سلِّموا	37
تسليمًا	38
الصَّلاةُ على المؤمنين	39

مفهوم (اللَّهُمَّ) تحدّي شكّي	41
مفهوم (اللَّهُمَّ) تسليميّ	42
مفهوم (اللَّهُمَّ) دعاء الواثقين	43
مفهوم (اللَّهُمَّ) تعجّب معظَّم	43
مفهوم (اللَّهُمَّ) تعظيم مطلق	44
مفهوم (اللَّهُمَّ) اعترافيَّ ايماني	45
اللَّهُمَّ مفتاح رفع القضيَّة:	46
سلامٌ على المرسلين	49
المرسلون قهروا الصِّعاب	58
السَّلام على المرسلين اعترافًا	62
مفاهيم السَّلام	64
السَّلام أمنًا	64
السَلامٌ تحيَّة	65
السَّلام مجازاة إحسان	67
سلام على المرسلين من بعد الابتلاء	69
سلامٌ	83
على نبي الكافَّة سلامٌ على المرسلين	83
سَّلام على المرسلين واحديَّةٌ	98
سلام على المرسلين إعجازًا	105
صدر للمؤلّف	125

المقدّمةُ

بسم الله: فاتحة الأخذ بقول الله تعالى، والصَّلاة والسَّلام: اعلان اعتراف وتسليم بمن اصطفى الله جلَّ جلاله، أمَّا الحمد لله فهي: ثناء القلوب على حمده دون سواه.

ومع أنَّ الحمد آخر دعاء أهل الجنَّة، فإنَّه في الأولى لا يقال أوَّلًا إلَّا من حامدٍ لفضل الله؛ فلك الحمد ربِّ على فضلٍ من فضلك، وعلمٍ من علمك، وحكمةٍ من حكمتك، ورحمةٍ من رحمتك، ونعمةٍ من نعيمك، ورزقٍ من رزقك الواسع الذي به ضمنت الحياة لمن تخلق حيًّا: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}[1].

فمن وسط هذه النِّعم أُقدِّم مؤلَّفي: (مفاهيم الصَّلاة والتسليم على الأنبياء) إلى القراء الكرام أهل العلم؛ ليكون بين أيديهم مفتاح من مفاتيح المعرفة التي لم نؤت منها إلَّا قليلًا: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[2].

اهتم مؤلَّفنا بالمفهوم الذي به يتمّ التمييز بين ما ينبغي وضوحًا، وما لا ينبغي غموضًا، مع تبيان الإجابة عمَّا يُسأل عنه بأداة الاستفهام (لماذا؟).

---

[1] هود 6، 7.

[2] الإسراء 85.

ومن ثمَّ كان التمييز بين مقاصد المفاهيم المستندة على الآية الكريمة: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[3].

والتمييز هنا جاء بين صلاة الله تعالى على النَّبي، وصلاة الملائكة عليه أيضًا، وكذلك صلاة الله على المؤمنين، وصلاة الرَّسُول عليهم، وفي المقابل صلاة المؤمنين وتسليمهم على النَّبي سلام الله عليه، وإضافة إلى إظهار مفهوم قوله تعالى: {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ}[4] أوردنا مجموعة من المفاهيم المتعدّدة والمتباينة التي ينبغي التوقّف عندها.

وممّا تم تبيانه مفهومًا: أنَّ البعض من المسلمين يقول: (اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على النَّبي)، في الوقت الذي صلّ الله فيه على نبيَّه، وجعل أمر التسليم به على المؤمنين.

ولأنَّ أمر مفهوم السَّلام مفهوم عام، وفيه من التخصيص والخصوصيات ما فيه، كان من الأهميَّة أن يتمَّ تبيان مفاهيمه المتداخلة ارتقاءً بوعي المؤمن المسلم؛ فهمًا وعلمًا ومعرفةً وأخذًا بما أمر الله نصًّا قرآنيًّا.

فالسَّلام كُلُّ السَّلام ليس كلمة تقال، بل أفعال تتحقّق؛ لأنَّه السَّلام الذي لا يستمدُّ إلَّا من اسمه تعالى (السَّلام)، مما جعل السَّلام صفة قابلة للتجسُّد في الفعل، والعمل، والسُّلوك.

---

[3] الأحزاب 56.

[4] الصَّافات 181.

ومن هنا استُمدت مفاهيم هذا الجهد البحثي من القرآن الكريم الذي لا يضل من يلتجئ إليه باحثًا أو مفسّرًا، حجّة بحجّة، وحقيقة بحقيقة، ومعلومة بمعلومة، ومجادلة بلا إكراه استنادًا على قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[5].

ولأنَّنا نهتم بالمفهوم ارتأينا في هذا المؤلَّف أن نبيّن قوله (اللَّهُمَّ) من حيث المفهوم والمعنى والدَّلالة بغاية وقوف القارئ على الحكمة الظاهرة والكامنة من خلفها. والكمال لله وحده.

والحمد لله ربِّ العالمين

أ.د. عقيل حسين عقيل

القاهرة

27- 2- 2018م

[5] النساء 94.

الصَّلاةُ على النَّبي

الصَّلاةُ:

الصَّلاة فعل رحمة تتحقَّق من الله على عباده المؤمنين، ولا صفة للصَّلاة إلَّا الصَّلاةُ ذاتها، فهي من الله مرضاة على خلقه، وخير خلقه: الأنبياء والملائكة، والمؤمنون الصدِّيقون الطَّائعون، أمَّا الصَّلاة من الملائكة فهي صلاة العاملين على الأخذ بالأمر طاعة: {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}[6]، وأمَّا صلاة النَّبي على المؤمنين فهي طمأنة قلبية يسكن القلب إليها: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ}[7]، وفي المقابل صلاة المؤمنين على النبي صلاة مباركة به ومباركة عليه؛ ولهذا فهم بالصَّلاة عليه يسلِّمون تسليمًا استجابة لقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[8].

الصَّلاةُ شيئًا:

إنَّ الصَّلاةَ لو لم تكن شيئًا ما تحدثنا عنها، ولو لم تكن وجودًا ما كان الإيمان بها وإقامتها؛ ولأنَّها شيء يقام ويتخذ رحمة؛ فهي ذات الأثر الموجب على الأنفس والقلوب والعقول المؤمنة، قال تعالى: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ}[9]، أي: رضاك عليهم يجعلهم مطمئنين آمنين، فصلِّ عليهم (ارضَ عليهم).

---

[6] الأنبياء 27.

[7] التوبة 103.

[8] الأحزاب 56.

[9] التوبة 103.

ولأنَّ الصَّلاة شيءٌ موجودٌ فلا تكون إلّا بفعل فاعل (بخلق خالق)، وخالق الشيء لا يمكن أن يكون شيئًا، ولا يكون لا شيء، ولا يكون شيئًا آخر، فخالق المادّة لا يمكن أن يكون مادّة، وخالق الرّوح لا يمكن أن يكون روحًا؛ فالخالق لا يكون إلّا خالقًا: (الخالق يَخلق ولا يُخلق)؛ ولهذا يصلَّى له تضرُّعا، ويؤخذ أمره تسليمًا مطلقًا؛ ولذا فالصَّلاةُ على النَّبي مأمورٌ بها لأنَّها:

. ترضي المصلَّى له.

. ترضي المصلَّى عليه.

. ترضي المصلِّي.

ومن ثمَّ: فصلاة الله على نبيِّه رضا عليه، وصلاة النَّبي على المؤمنين رضا عليهم، ومن هنا فالصَّلاةُ لا تكون إلَّا شيئًا مرضيًّا، والشيء المرضي لا يمكن أن يكون شيئًا مرضاة؛ لأنَّ الرِّضا لا يكون إلَّا محبَّة، أمَّا المرضاة فلا تكون إلَّا مجاملة، أو على الأقل فيها من المجاملة ما فيها، ومن هنا فالمرضاة لا تُحقِّق الطمأنينة بقدر ما تشير إلى عدم الاقتناع التَّام بالفعل المتخذ مرضاة.

الصَّلاةُ مفعولةٌ:

إنَّها المفعولة من الله تعالى على أنبيائه، ولأنَّها المفعولة من الله جلَّ جلاله؛ فقد فُعلت من الملائكة صلاة على النَّبي (استجابة لِصلاة الله عليه) قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي}[10] أي: إنَّ الله يعظِّم نبيّه، والملائكة الطَّائعون يصلّون على

[10] الأحزاب 56.

النَّبي طاعة لصلاة الله عليه، وبما أنَّ فعل التعظيم والرِّضا متحقِّقان على النَّبي من الله وملائكته فَلِمَ لا يتحقّقان عليه من قبل من يؤمن بالله وملائكته؟

الصَّلاةُ تُفعل:

الصَّلاة تفعل استجابة كما فُعلت من قِبل الملائكة الذين استجابوا ذاتيًّا مع صلاة الله على النَّبي فصلوا عليه، وتُفعل من قبل الذين فُعلت عليهم (الأنبياء، والمؤمنين الصّالحين) أي: إنَّ النَّبي يصلِّي على المؤمنين مصداقًا لقوله تعالى: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ}[11]، والمؤمنون بدورهم يصلّون عليه ويسلِّمون تسليمًا طاعة للأمر: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[12]، أي: فمن أراد أن ينال رضا الله فليصلِّ على من رضي الله عليه (على النَّبي)، وهذا يعني: لن ينال أحد رضا الله تعالى ما لم (يصلِّ على النَّبي) فصلوا عليه أيُّها العباد وسلموا تسليمًا.

الصَّلاةُ تُقام:

إقامة الصَّلاةُ إعلان توحيد الله، واتباع سنّة نبيّه مُحَمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام، ومباركته، وتعظيم شأنه كما عظمه الله عزَّ وجلَّ، فتقام قولًا وتُفعل، وهي مثل الشَّهادة ينطق بها اعترافًا، وتؤدَّى عملًا (إقامةُ صلاة)؛ وتأخذ معاني منها:

الأوَّل: الصَّلاةُ على النَّبي من الله وملائكته والمؤمنين.

---

[11] التوبة 103.

[12] الأحزاب 56.

الثاني: الصَّلاةُ لله تعالى من خلقه الطَّائعين.

الثالث: الصلاة على المؤمنين من الله وملائكته مصداقًا لقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}[13]

الرَّابع: الصَّلاةُ من النَّبي على من أحسن قولًا وفعلًا وعمل صالحًا من المؤمنين {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ}[14].

الخامس: صلاة المؤمنين على النبي مصداقاً لقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}

السادس: الصَّلاةُ لله عبادة؛ إنَّها مصدر المحبَّة، ومظهر الطَّاعة، ومباركة الحياة، وهي الممكِّنة من الإرث في الدَّارين؛ فتقام إقامة فرض كما أقامها النَّبي محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام (فحيّ على الصَّلاةُ حيّ على الصَّلاةُ).

أوجه الصَّلاةُ على النَّبي

. الله يصلِّي على النَّبي:

إنَّ صلاة الله على النَّبي ليست دعاء، بل مباركة، مصداقًا لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي}[15] مع أنَّه قال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ) فإنَّ الله لا يُجمع؛ لأنَّه لم يكن شيئًا، أي: خالق الشيء لا يمكن أن يكون شيئًا؛ ولهذا فلا يُجمع، ممّا يجعل الضمير

---

[13] الأحزاب 41- 43.

[14] التوبة 103.

[15] الأحزاب 56.

الجمعي يتعلّق بالملائكة وحدهم كونهم (جمع ملك)؛ فقوله: (إنَّ الله) تخصّ الخالق الذي بارك النَّبي (صلَّى عليه) في خَلْقِه وعلى خُلُقِه.

ولأنَّ خالق الشيء لا يمكن أن يكون شيئًا فلا إمكانية لخلق الشيء شيئًا إلّا بـ(شاءٍ)، وحتى إن عُدنا لذلك التّساؤل الذي كنّا نطرحه على أنفسنا أعوام الدراسة الإعدادية والثانوية، وهو:

من الذي خلق الخالق؟ وكيف كان قبل أن يخلق ما خَلق؟

أقول:

بما أنّنا نقول: الخالق، إذن؛ فلا ينبغي أن نسأل عمّن خَلق الخالق؟ أي: كيف لنا من زاوية نقول الخالق، ومن زاوية أخرى نسأل عنه؟

إنَّه الخالق الذي يَخْلُقُ ولا يُخلق، ومن ثمّ؛ فكلّ شيء يُخلق فهو ليس بالخالق؛ ولذا فلا فواصل بين الخالق وخَلقه؛ فالخالق ليس على الصّورة ليكون موجودًا قبل أن يخلق الخلائق، ولذلك؛ فالسؤال ليس في محلّه؛ لأنَّ السَّائل جعل في ذهنه هيئة للخالق، وهنا تكمن العلّة؛ إذ لا هيئة للخالق، بل له مشيئة، والمشيئة هي فعل المستحيل، والتفكير في الفعل المستحيل يجعل السّائل في حيرة من أمره بعلّةٍ في نفسه وهي: اختلاط فكرته عن الخالق الذي لا يُصوَّر بما هو على هيئة الصّورة، وبالتّالي فمن يتصوَّر لله هيئة يجعله وكأنّه داخل الإحاطة، ومن يفكِّر داخل الإحاطة؛ فتفكيره لا يزيد على كونه تفكير كتكوت داخل البيضة الذي لا إمكانية له في رؤية عالم أعظم من عالمه داخل البيضة؛ ولذلك فهيئة الله بلا هيئة،

وصورة الله بلا صورة. ومن هنا؛ فنحن غير عاجزين عن معرفة الله، ولا يليق بنا أن نسأل عمّن بيده الأمر (كن): كيف كان؟

نعم، الله (لم يكن) حتى نسأل عنه كيف كان، فمثل هذا السؤال يتعلّق بمن لم يكن فكان؛ كما هو حال الكون الذي كما يقولون عنه كان نتاج ذلك الانفجار العظيم سببًا، وكما هو حال الأزواج التي لو لم تكن الأرض كائنة ما خُلقت منها الأزواج سببًا، وغيرها كثير من الخلائق التي قبل خلقها لم تكن بخلائق.

ولذلك؛ فلا ينبغي أن يكون السُّؤال: كيف كان الله؟

بل ينبغي أن يكون السُّؤال:

من هو الله؟

ما هي صفاته؟

فالله هو الذي يُسمّى بهذا الاسم، وهو الذي لم يكن كائنًا حتى يسأل عنه كيف كان؛ ولذلك فالكائن لا يكون إلَّا على هيئة يراد له أن يكون عليها فيكون. وبالتالي فأيّ كائن لا يكون إلَّا على هيئته، ووفق مشيئةٍ ليست بيده، ومن هنا؛ فنحن ندرك الكون علمًا، ولكنّا لا ندرك هيئته، وكيف لنا بهذا ونحن لم ندرك صورة الكون متكاملة؟

أي: كيف لنا بهذا، ونحن داخل محيط الكون الذي لم نتمكَّن بعد من الخروج عنه بأيّ سببٍ، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصوَّر الكون باعتبارنا جزيئًا فيه، أو حتى إنّنا أقل من ذلك بكثير، أمَّا الخالق فهو على غير هيئة؛ كونه على غير صورة، وبالتَّالي لا إمكانية

لوضعه في أيّ هيئة ذهنية، ولا يليق بعقولنا ومدركاتنا التي أدركته استحالة أن تجعله على هيئة أو صورة وهو لم يضع نفسه فيها؟

ومن ثمّ؛ فالله يخلق غيره، وغيره لا يخلقه، وبالعودة إلى السُّؤال: كيف كان الله؟

فالله لا يكون.

ومن هنا، فالسُّؤال لا علاقة له بمن يُسأل عنه، بل له علاقة بالسَّائل، الذي لا يعرف من كينونته إلّا أنَّه من نطفة، ومن قبلها من تراب، ولا شيء غير ذلك، ومع ذلك يسأل: كيف كان خالقه؟

أي: ألا يكفي إجابة أنّه يعلم عجزه عن معرفة كيفيَّة خلقه التي ليس له رأي فيها؟ ويسأل عن كيف كان الله؟

أقول:

عليك بالبحث في الكون بلا توقّف، لعلّك تعرف: كيف خُلق، وكيف كانت له هيئة قبل أن يُخلق؟ ووفق أيّة مشيئة هو خُلق؟ وكذلك عليك بالبحث في نفسك لعلك تعرف: كيف خُلقت؟ وكيف كانت لنفسك هيئة قبل أن تُخلق؟ ووفق أيّة مشيئة هي خلقت؟ وعليك أن تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تتكلّم وتقرّر أو تعمل؛ فإن فعلت ذلك عن وعي لا شكَّ إنَّك ستدرك أنَّ صفات الله تتعدّد بتعدّد نعمه، وهو الواحد الذي لا يتعدّد[16].

[16] عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون (الخلق ـ النشوء ـ الارتقاء) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016، ص 278.

وعليه:

فالخالق خَلَقَ ويَخْلُق، وعظَّم ويعظِّم، وبارك ويبارك؛ ولأنَّ الله بارك النَّبي (عظَّمه)، فصلَّى الملائكة عليه مباركة به، والصَّلاةُ هنا ليست ركوعًا ولا سجودًا، بل تسليمًا بالنَّبي المبارك في خَلقه واصطفائه؛ لأنَّ النَّبي مُحمَّدا عليه الصَّلاةُ والسَّلام خُلق على الحمد خلقًا؛ أي: إنَّ مُحمَّد اسمًا وصفةً متطابقان من حيث:

. مُحمَّد:

اسم النَّبي مُحمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام اسم موصوف بما حُمِّد به من الله تعالى؛ ممّا جعل الاسم مُحمَّدا في حالة تطابق تام مع الصِّفة في الموصوف، وهذه من خصوصيات اسم النَّبي عليه الصَّلاةُ والسَّلام، فصار الاسم هو عين الصِّفة، والصِّفة هي عين الموصوف.

ومُحمَّد تدلُّ على أنَّه مُحمَّد في خَلقِه، وخُلقه، وذاته، فهو على ما هو عليه موصوف بما يُمجَّد، ويُخلَّد، ويُعظَّم.

وجاءت صفة التحميد لسيِّدنا مُحمَّد معظِّمة للموصوف بما يُحمد به ويُحمد عليه؛ ولهذا كان التطابق بين الصِّفة والموصوف في اسمه مُحمَّد الذي يدلُّ على أنَّه المحمَّد من الله تعالى تحميدًا، أي: إنَّه قد خُلق على الحمد خلقًا ولذلك كان لاسم محمَّد مفهومٌ مرتكزة (الحمد) الذي خُلق عليه محمَّد خلقًا.

وعليه:

لقد كان النَّبي الكريم عليه الصَّلاةُ والسَّلام مُحمَّد بتسمية الله له، أي: إنَّ الله هو الذي سمى النَّبي (أحمد) في اسمه وهو (مُحمَّد) في تطابق الاسم صفة وموصوفًا، وهو مُحمَّد بالرِّسالة التي اصطفاه الله لها رسولًا خاتمًا وللنَّاس كافَّة، قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّد إِلَّا رَسُولٌ}17، أي: أعظم صفة لمحمَّد هي: (رسول الله وخاتم النَّبيين)، وبالتالي لا يدعى إلّا بها.

ومع أنَّ لمحمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام أولادًا صغارًا وهم: عبد الله، وإبراهيم، وأبو القاسم (الذين لم يبلغوا عمر الرجال) فإنَّ مُحمَّدًا لم يكن أَبَا أحدٍ من الرِّجال مصداقًا لقوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّد أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبيينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}18، وبالتالي: فلا صفة لمحمَّد إلَّا مُحمَّدٌ (رسول الله)، أمَّا الأبوة فالغالبية تدعى بها.

ولأنَّهُ مُحمَّد من الله تعالى فقد أُنزل عليه الحقّ الذي به كفَّر سيئات المؤمنين، وأصلح بالهم، قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّد وَهُوَ الحقُّ مِنْ ربِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}19.

ولأنَّ النَّبي مُحمَّد مسمّى من عند الله مُحمَّدًا (تطابق الاسم والصِّفة)، وهذا المسمَّى الكريم يختلف عمَّن سمي محمودًا؛ لأنَّ المحمود لا يكون محمودًا إلَّا من قِبل النَّاس الذين ارتأوه على خُلقٍ حميد فوصفوه به محمودًا، أمَّا مُحمَّد في مفهومه اسم وصفة؛ لأنَّهُ

17 – آل عمران 144.

18 – الأحزاب 40.

19 – محمّد 2.

خُلق على الحمد خلقًا، وهذه لا تكون إلّا مباركة من الخالق عزَّ وجلَّ ورضا منه؛ ولهذا فصلاة الله عليه كانت في خَلقه فأصبح نبيًّا مصلًّى عليه من قِبل خالقه.

الصَّلاةُ على النَّبي فعلٌ مستمرٌّ:

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[20]، قال: (يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي) ولم يقل: (صلوا على النَّبي) وهذا يعني أنَّ الصَّلاةَ على النَّبي صلاة متَّصلة (غير منقطعة) ولن تنقطع، ولهذا يجب أن يلتحق العباد بالصَّلاة والسَّلام على النَّبي.

أمَّا صلاة الملائكة فقد جاءت إيمانًا بالمبشَّر به نبيًّا قبل أن يرسل نبيًّا؛ ولهذا جاء قوله: يصلون عليه فعل مستمرٌّ، ولم يأتِ ماضيًا مصداقًا لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[21]. ومع أنَّ كلمة (يصلُّون) مضارعة فإنَّ مفهومها في هذه الآية الكريمة يدلُّ على أنَّ الصَّلاةَ على النَّبي تحصيل حاصل كونه في علم الله متحقّقًا من خالقه تعالى، فيجب أن يباركه خلقه؛ لأنَّهم هم الذين في حاجة للصَّلاة على النَّبي؛ لأنَّهم بالصَّلاةُ عليه ينالون صلاة الله وملائكته الذين يصلون عليه، أي: ينالون رضا الله ومباركة الملائكة، ومن ثمَّ رضا الرّسُول عليهم؛ فالرّسُول الذي يصلّي الله عليه، لم يعد في حاجة لمن يصلّي عليه، ولكن المصلّي عليه في حاجة لأن يصلّي على النَّبي إذا أراد نيل مرضاة الله قال تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاس إِنِّي

[20] الأحزاب 56.

[21] الأحزاب 56.

رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِي الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[22]، أي: فمن يرغب الهداية فعليه بالصَّلاةِ والسَّلام على النَّبي؛ الذي بالصَّلاةِ والسَّلام عليه ينال رضا الله الذي يصلّي على المؤمنين {وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا}[23] يفهم من هذه الآية الكريمة أنَّ الإيمان بالله (توحيده)، وأنَّ الإيمان بالرسول (الصَّلاةُ والسَّلام عليه)؛ لأنَّ الصَّلاةَ والسَّلام عليه لا يقتصران على القول اللساني، بل يتعدَّيانه إلى الإيمان القلبي الذي يُمكِّن من الأخذ بالأمر الذي جاء به مُحمَّد رسولًا للكافة.

الصَّلاةُ على النَّبي ذكر لله:

ومن هنا فالمؤمن لا يمكن أن يكون مؤمنًا ما لم يصلِّ ويسلّم على النَّبي؛ ولهذا فلا داعي للغفلة التي تلهي العباد عن طاعة أمر خالقهم، لأنَّ الصَّلاةَ على النَّبي فيها ذكر لله، وتمجيدٌ لصلاته على مُحمَّد الذي أمر بالصَّلاةُ والسَّلام عليه؛ ولذلك فقول المؤمن: (اللَّهُمَّ صلِّ على النَّبي) فيها ذكر الله (اللَّهُمَّ) الذي يجب أن يذكر كثيرًا مصداقًا لقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}[24]، ومن ثمَّ فبالصَّلاة والسَّلام على مُحمَّد ينال المؤمن صلاة الله عليه.

---

[22] الأعراف 158.

[23] الفتح 13.

[24] الأحزاب 41 - 43.

ولأنَّ مفهوم كلمة النَّبي لا تحديد ولا قيد عليها فهي مفهوم يتعلَّق بأيِّ نبيٍّ، ولكنَّ التنزيل وفقًا للآية السَّابقة يتعلَّق بالنَّبي مُحمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام وهو المبشَّر به مصداقًا لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}25.

خطاب البُشرى من الله تعالى موجَّه إلى بني إسرائيل، والبشير هو عيسى ابن مريم عليه الصَّلاةُ والسَّلام، والمبشَّر به هو أحمد رسول الله من بعد عيسى عليهما الصَّلاةُ والسَّلام؛ ولذا فمن الأولى أن يكون بنو إسرائيل هم أوَّل المؤمنين المسلِّمين والمتَّبِعين للرَّسُول الخاتم المبشَّر به في زمن عيسى (المسيح ابن مريم).

ولأنَّ البشرى دائمًا تسبق المبشَّر به، فكان عيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام هو أوَّل مؤمن بالنَّبي مُحمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم، أي: كان مؤمنًا به نبيًّا ورسولًا قبل أن يُخلق، تصديقًا لأمر الله الذي أمره به ليُبشِّر به قومه، ولتكون البشرى سارية المفعول عبر الزَّمن إلى أن يُخلق ويُبعث المبشَّر به (أحمد رسول الله) في الزَّمن الذي خُلق من أجله.

ولذا فالبُشرى بمُحمَّد رسولًا قبل أن يُخلق أجداده وأبواه هي مُعجزة في ذاتها، فالبشرى به لا تماثلها بشرى فيما علمنا من علم الله تعالى، فالجنّة المبشر بها المؤمنون مخلوقة، مصداقًا لقوله تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الجنّة فَكُلَا مِن حَيْثُ شئتما وَلَا

25 – الصف 6.

تَقْربّا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الجنّة وَنَادَاهُمَا رَبّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا ربّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجنّة يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا}26، وكذلك النَّار المبشر بها الكافرون مخلوقة، مصداقًا لقوله تعالى: {فَاتَّقُوا النَّار الَّتِي وَقُودُهَا النَّاس وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}27، وقوله تعالى: {وَاتَّقُوا النَّار الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}28؛ ولهذا فكل المؤمنين يسعون ويعملون من أجل بلوغ اللجنَّة، وفي المقابل سيكون الكافرون والمشركون حطب جهنَّم.

وعليه:

فالذين لم يؤمنوا بمُحمَّد نبيًّا ورسولًا خاتمًا هم الذين لم يأخذوا بما بشَّرهم به نبيّهم عيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام، ومن لم يؤمن بما

---

26 - الأعراف 19 -27.

27 - البقرة 24.

28 - آل عمران 131.

بشَّرهم به نبيهم المسيح عيسى ابن مريم لا يُعد من الآخذين بما جاء به عيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وذلك لعدم أخذهم بما بشَّرهم به، فإن كانوا مؤمنين حقًّا بعيسى وبما جاءهم به من رسالة من الله فعليهم بأخذ ما جاءهم به مبشِّرًا، ويصلّوا عليه ويسلِّموا تسليمًا؛ ولذلك نقول: التوراة وحدة واحدة، والإنجيل وحدة واحدة، والقرآن وحدة واحدة فلا يؤخذ بجزء ويترك الجزء الآخر من أيٍّ منها، فما جاء به عيسى من إنجيل لا يؤمن به إلَّا من آمن به وحدة واحدة، ومن يؤمن به وحدة واحدة لا يترك جزءًا منه غير مؤمن به، فإن كان الإيمان بالحقّ حقًّا فلا يحقّ لأحدٍ أن يجزِّئ الحقّ كما يتراءى له حيادًا عنه.

ولأنَّ أهل الدِّيانات السَّماوية مسلمون، فلا يحقّ لهم أو لبعضهم أن يؤمنوا بالله وينكر جزءًا من أمره تعالى، أي: إنَّ المبشِّر هو الله، والبشير هو عيسى ابن مريم، والمبشَّر به هو مُحمَّد رسول الله، فكيف يؤمن البعض بالمبشِّر والبشير ولا يؤمن بالمبشَّر به (أحمد)؟ فهل هذا شكّ في المبشِّر؟ أم شكّ في البشير؟

فإن كان شكًّا في المبشِّر (الله تعالى) فلا داعي أن يتمَّ الإيمان بالبشير (عيسى ابن مريم)، وإن كان شكًّا في البشير، فكيف يتمّ الإيمان بجزء ممّا جاء به والكفر بجزئه الآخر الذي لا يتمّ الإيمان إلَّا به؟

ولأنَّ البُشرى خير فكان عيسى ابن مريم بشير خير، والمبشَّر به هو الخير في صفاته وأقواله وأفعاله وأعماله، وسُنَّته ورسالته التي اصطفاه الله لها رسولًا ينبغي الصَّلاةُ والسَّلام عليه والتسليم به.

الصَّلاةُ على النَّبي بين المفهومِ واللُّغة:

من حيث المنطق ينبغي أن يتطابق المفهوم مع اللُّغة، ومن حيث الاستخدام نجد اختلافًا، وهنا يظهر اللبس الذي يستوجب البحث الموضوعي، وتصويب المتقاطعات فيما يتعلَّق بالصَّلاةِ والسَّلام على النَّبي عليه الصَّلاةُ والسَّلام من حيث:

. **المفهوم الأوَّل**، القول بأنَّ الله صلى على النَّبي، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي)، فمع أنَّ القول جاء (صلَّى الله على النَّبي)، ولكن نصّا قرآنيًّا جاء: (يُصلُّونَ على النَّبي) ولم يقل: (صلّوا)؛ ولهذا مفهومًا ينبغي أن نقول: (الله يصلِّي على النَّبي) أو (يصلِّي الله على النَّبي) ولا نقول: (صلَّى الله على النَّبي)، لأنَّ الصَّلاةَ الأولى متَّصلة (مستمرّة)، أمَّا الثَّانية فمنفصلة (ماضية) أي: منتهية، وهذا لا يجوز؛ لأنَّ الماضي يدخل الله في الزّمن، أمَّا الاستمرارية فلا تراه إلَّا باقيًا ومحيطًا (يحيط ولا يُحاط).

وعليه:

عندما نقول: صلَّى الله على النَّبي، فنحن نخبر عن صلاة الله على النَّبي وكأنَّنا الشُّهود عليها مع أنَّنا لسنا كذلك.

وفي المقابل لو قلنا: (الله يصلِّي على النَّبي) فنحن نقرّ بما أُعلمنا به من عند الله (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي).

. **المفهوم الثَّاني**: قول: (اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه) قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[29]، فهذا القول

[29] الأحزاب 56.

(اللَّهُمَّ صلِّي وسلِّم عليه)، مفهومه دعاء الدَّاعي الذي يدعو الله أن يصلِّ على النَّبي، وبدعائه هذا وكأنَّه لم يعلم أنَّ الله يصلِّي على النَّبي، ومع أنَّه يعلم فإنَّه يدعو بهذا الدُّعاء، وهنا لا أتحدث عن النيَّة؛ فالنيَّة لا شكّ أنَّها في اتجاهٍ والدُّعاء في اتجاهٍ آخر، ونحن هنا نريد أن نخاطب العقل؛ ليميّز بين ما يُقال، وما يُضمر عليه، وينوي به.

إذن، قولنا: (اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على النَّبي) فيه من أخطاء المفهوم ما فيه، من حيث:

. إنَّ الله لا شكَّ أنَّه يصلِّي على النَّبي؛ ولهذا فدعاؤنا ليس في محلِّه؛ لأنَّ الله قال نصًّا إنّه يصلي على النَّبي: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي).

. في دعائنا هذا ندعو الله أنْ يسلِّم تسليمًا على النَّبي في الوقت الذي لا يمكن أن يسلِّم فيه الخالق للمخلوق وإن كان نبيًّا، ولهذا قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي) ولم يقل: (ويسلِّمون تسليمًا)؛ لأنَّ أمر التسليم لا يكون إلَّا من قِبل من لا يسيطر على المستحيل والمعجز، ولأنَّ الله هو المهيمن والمسيطر فلا تسليم، بل التسليم ممن يقف عاجزًا أمام المستحيل والمعجز، وهذا من قصور الخلق أمام كمال الله وجلاله، بمعنى: ينبغي أن يكون التسليم من المخلوق للخالق تعالى، وليس التسليم من الخالق للمخلوق؛ ومن هنا تغيب الحجَّة.

. **المفهوم الثَّالث**: قول: (عليه الصَّلاةُ والسَّلام)، هذا القول يعد أخذًا بالأمر: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)،

وهذه استجابة المأمور بالصَّلاةُ والسَّلام على النَّبي؛ فعندما يقال لك: (صلِّ وسلِّم على النَّبي) فينبغي أن تقول: عليه الصَّلاةُ والسَّلام، أي: الصَّلاةُ والسَّلام على النَّبي.

أمَّا عندما يقال لك: (صلِّي على النَّبي وسلّم تسليمًا) وتقول: (اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه)، ففي مفهوم هذا القول وكأنَّك قد أحلت الأمر من صلاتك على النَّبي إلى الله ليصلي عليه نيابة عنك، أي: بدل أن تقول: (عليه الصَّلاةُ والسَّلام) قلت: (اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه) وهنا قد حمَّلت المفهوم ما لم يحمل من ثقل من حيث:

ـ إنَّ الله يصلي على النَّبي مسلّمة من مسلّمات الحق: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي).

ـ إنَّ الله يصلي على النَّبي، ولكن لا تسليم له من الله تعالى، وصلاةُ الله على النَّبي سارية دائمة، ومتَّصلة فلا تنقطع، ولا تنتظر داعيًا؛ فالتي تنتظر داعيًا الصَّلاةُ والتسليم اللذان يُعدَّان دينًا على المؤمن حتى يقضيهما قولاً وإقامة وأداء.

ـ هناك فارق مفهومي بين قوله: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[30]، وقوله: {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ}[31]؛ فمفهوم الأولى كما سبق تبيانه: يؤكّد على صلاة الله على النَّبي بقاء وديمومة لا تنفصل، وكذلك يظهر أمر الله للمؤمنين بالصَّلاةِ والسَّلام والتسليم على النَّبي.

أي: هناك مفاهيم ثلاثة تستوجب التبيان:

---

[30] الأحزاب 56.

[31] الصافات 181.

الأوَّل: الصَّلاةُ على النَّبي (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ)؛ لأنَّه لم ينطق عن الهوى، والصَّلاةُ هنا اتباعه فيما يقول ويفعل ويعمل ويسلك، وليست الصَّلاةُ مجرّد قول ينطقه اللّسان، ولتقريب المفهوم: العرب عندما تثق في شخصٍ ما وتصدّقه، تقول: هذا الشّخص الكريم يصلّى على طرفه أي: وكأنَّه منزّه من الزلل؛ ولهذا فمفهوم (صلّوا عليه) خذوا ما آتاكم وانتهوا عمَّا نهاكم: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[32]

الثَّاني: التسليم للنبي اعتراف وقبول واستيعاب (وَسَلِّمُوا) بمعنى اعترفوا به نبيًّا متميّزًا بنبوَّته، ورسالته، وأطيعوه فيما آتاكم به رسولًا، واتبعوا سُنَّته.

الثالث: التسليم للنبي طاعة (تسليمًا): {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}[33]، بمعنى: تسليمًا لا يلحقه الشكّ ولا الظن؛ لأنَّه رسول الله المصلَّى عليه تمجيدًا وتعظيمًا.

الصَّلاةُ والتسليم على النَّبي:

اللَّهُمَّ صلِّ على النَّبي:

كلمة (اللَّهُمَّ) تحمل في مضمونها مفهوم التوكّل على الله؛ لأنَّ قائلها يعرف أنّه لو لم يتوكّل على الله لن يتمكّن من الحصول على الاستجابة، ويفهم من قول المؤمن: (اللَّهُمَّ) أنّه موحدٌ لله ولا يشرك به أحدًا، ومن ثمَّ فإنَّ مفهوم كلمة (اللَّهُمَّ) يحتوي مجموعة من المفاهيم، منها:

---

[32] الحشر 7.

[33] النساء 59.

. التوحيد (اللَّهُمَّ) أي: إنَّ قائلها لا يدعو إلّا الله (قَصْورُ الدُّعاء على الله).

. التوكّل (اللَّهُمَّ)؛ لأنَّ قائل اللَّهُمَّ له مقصد، أو أنَّه متهيئ للقول أو متأهب للإقدام على الفعل، أو العمل الذي لن يتحقّق إلّا بمشيئة الله.

. التسليم لأمر الله (اللَّهُمَّ)؛ إذ لا انتظار لإجابة حاسمة للأمر إلّا من عند الله.

. النداء (اللَّهُمَّ) أي: يا الله.

. الدّعاء (اللَّهُمَّ) تُنبئ عن توجّه الدَّاعي إلى الله في دعواه.

ومن ثمَّ فإنَّ (اللَّهُمَّ) كلمة جمعت الميم المشدّدة (مَّ) مع اسم الله تعالى، فأنتجت مفاهيم: التوحيد، والتوكّل، والتسليم، والنّداء، والدّعاء، أي: إنَّ إلحاق الميم المشدّدة باسم الله يشير إلى أنَّه لا ملجأ من الله إلّا إليه.

وعليه:

فإنَّ مفهوم (اللَّهُمَّ صلِّ على النَّبي) هو مفهوم الاستحسان والمباركة والتمجيد اعترافًا بالنبوَّة وصاحبها، واعترافًا بالقدوة الحسنة في الطَّاعة والإيمان والخُلق الكريم، وفي الحكمة والعدل والإنصاف.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي) قال: (النَّبي) ولم يقل: (الرّسُول، ولا مُحمَّد، ولا المصطفى، ولا البشير، ولا النَّذير ولا المنذر)؛ لأنَّ كلمة الرّسُول تطلق على أيِّ رسول بمن فيهم المرسلون بين النَّاس، ولهذا فالفرق كبير بين رُسُل النَّاس والرُّسُل إلى

النَّاس، وكذلك فاسم مُحمَّد اسم مسمَّى بين النَّاس، وهكذا حال المبشِّرين والمنذرين بين النَّاس، أمَّا قوله: (النَّبي) فلا نبي إلَّا من عند الله؛ ولهذا فلا يصلَّى على رسول ولا بشير ولا نذير ما لم يكن نبيًّا.

ولأنَّه قال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي) فالصَّلاةُ لا تقتصر على نبيٍّ معينٍ مع أنَّ الآية الكريمة تتعلَّق بمُحمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام؛ ومن ثمَّ فلا نفرّق بين أحدٍ من رُسُله: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[34].

ولذلك فالصَّلاةُ من الله على النَّبي ليست ركوعًا ولا سجودًا، ولا تسليمًا للنّبي، بل الصَّلاةُ من الله على نبيّه الكريم صلاة إشهار بأنَّ النَّبي لا يكون نبيًّا إلا من عند الله، ولأنَّه من عند الله فهو مصلّى عليه: (مبارك ومحصَّن من الزَّلل والله حافظه من كلّ نقيصة) وبالتالي: فهو مهيَّأ لأن يتّبع ويُصدَّق ويُطاع ويؤمن به ويسلَم له.

أمَّا صلاة المؤمن على النَّبي فهي صلاة اتباع وطاعة؛ لأمرين:

_ طاعة لأمر الله الذي أمر بالصَّلاةِ والتسليم على النَّبي.

_ إيمانٍ بأنَّ النَّبي الذي صلّى الله عليه هو بحقٍّ يستحقّ الطَّاعة والإيمان به، وعليه يصلّى ويسلّم.

أي: إنَّ صَّلاة الله على النَّبي أنَّه ثبّته بالقول الثابت، وملأ قلبه بالنبأ العظيم، وأنزل عليه الوحي قولًا فَصلًا، وأعزَّه بالحجّة

[34] البقرة 285.

والحكمة، وأحاطه حفظًا وعنايةً ورعايةً وسلامًا وأمنًا، ومدَّه بالقوَّة، والوثوق في القول، والفعل، والعمل، والسُّلوك.

أمَّا صلاة المؤمنين على النَّبي فهي صلاة توحيد بقولهم: (اللَّهُمَّ) التي تعني ممّا تعنيه: لا أحد غير الله يقصد فيجيب، ولا أحد غير الله يعبد ويصلّى له، وهي تسليم بالمطلق بما يأمر به الله، وينهى عنه.

أمّا القول: (اللَّهُمَّ صلِّ على النَّبي) فتعني: التسليم بالنَّبي المعظّم والمبارك من الله تعالى الذي اصطفاه نبيًّا ورسولًا، وبعثه خاتمًا للأنبياء والمرسلين عليهم الصَّلاةُ والسَّلام، ومن ثمّ فالصَّلاةُ على النَّبي من قبل المؤمنين إقرار بطاعته، واتباع سنّته.

إذن: التسليم بمجرد أن يقول المؤمن: (اللَّهُمَّ صلِّ على النَّبي) فهو قد سلّم به، وعندما يقول: (اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على النَّبي) فهو قد ميّز وضوحًا بين الصَّلاةُ التي لا تكون إلّا لله، وهي التي عندما تقام يتجسّد التسليم فيها، والصَّلاةِ على النَّبي التي تعني التسليم بما أرسل به من الله المصلى له، والمسلّم بأنبيائه ورسله.

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}[35]

إذن: ينبغي أن نميّز بين أمرين:

الأوَّل: الصَّلاةُ على النَّبي: وهي على وجوه منها:

[35] الأحزاب 41 - 43.

1 ـ الصَّلاةُ من الأعلى: وهي صلاة الله على النَّبي (صلاة مباركة وتعظيم وتمجيد وتخليد) مصداقًا لقوله: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي).

2 ـ الصَّلاةُ إلى أعلى: صلاة المؤمن على النَّبي (تعظيم النَّبي بعظمة الله) مصداقًا لقوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

الثاني، الصَّلاةُ لله: وهي صلاة الطَّائعين (جميع الخلائق المسبِّحة باسمه)، مصداقًا لقوله تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}[36]، والتسبيح هنا تسليم وطاعة واتباع بلا خلل.

وعليه:

تُعد الصَّلاةُ على النَّبي من قِبل المؤمنين مفتاحًا لنيل المزيد من رحمة الله الآمر بالصَّلاةِ والسَّلام على النَّبي: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، أي: إنَّ المصلِّي على النَّبي إيمانًا تامًا يصلِّي طاعة لأمر الله، وإيمانًا بأنَّ الصَّلاةَ عليه تجعله في محبَّةِ من يُحبَّه الله، وهو يعلم أنَّ الصَّلاةَ والتسليم على النَّبي يجعلانه تحت مظلّة شفاعته عليه الصَّلاةُ والسَّلام، ومن هنا فالصَّلاة والتسليم على النَّبي هما عبادة لله تعالى، وهي العبادة الميسّرة؛ إذ لا اشتراط على المصلّي والمسلّم على النَّبي إلّا التسليم والطَّاعة، أي: إنَّ للصَّلاة شروطها ونواقضها، وللصوم شروطه ونواقضه، وللحج

[36] الإسراء 44.

كذلك، وكذلك للزكاة، وفي المقابل جاء التيسير التام للصَّلاة والسَّلام على النَّبي عليه الصَّلاةُ والسَّلام؛ إذ لا اشتراطات على المؤمنين المصلّين والمسلمين على النَّبي ولا نواقض.

الصَّلاةُ والتسليم قولًا:

يُقال: (الصَّلاةُ والسَّلام على النَّبي)، أو (عليه الصَّلاةُ والسَّلام) وهذا القول يشير إلى لسان حال القائل (المؤمن الطَّائع)، ويدلُّ على محبَّة النَّبي: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُول فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}[37]؛ وكذلك يقال تأمُّلًا في تفضيله خَلقًا وخُلقًا: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[38]، وأيضًا يقال تسليمًا بما جاء به: (وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) وهكذا يكون التسليم بما قاله وما فعله مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}[39]، ولذا فالصَّلاةُ والسَّلام على النَّبي تجسد قناعة المصلِّي والمسلِّم عليه والتزامه رغبة وإرادة ما يجعله في مرضاة الله وملائكته ونبيِّه.

أمَّا صلاة الله على النَّبي فهي الصَّلاة تحقُّقًا؛ لأنَّ الله فعَّال لما يريد، أي: إنَّ الصَّلاةَ من الله على النَّبي لا تكون إلَّا متحقِّقة؛ لأنَّ الله مصدر الصَّلاة خلقًا وأمرًا: {وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن

---

[37] آل عمران 31، 32.

[38] القلم 4.

[39] الحشر 7.

فَيَكُونُ}[40]؛ ولهذا فصلاة الله على النَّبي أمر متحقّق، وليس بدعاء ينتظر الإجابة كما هو أمر دعائنا.

الصَّلاةُ والتسليم فعلًا:

مفهوم الصَّلاةِ والتسليم فعلًا: طاعة النَّبي والأخذ بسنَّته قولًا وفعلًا وعملًا وسلوكًا، فيصلّي المسلم كما صلَّى عليه الصَّلاةُ والسَّلام، ويصوم كما صام، ويزكّي كما أمر وزكّى، ويحج كما حجَّ، ويجاهد كما جاهد، ويسبح كما سبَّح ويذكر الله كثيرًا مصداقًا لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[41].

ولهذا جاء التسليم تسليمًا مطلقًا بمُحمَّد، وبما أُنزل عليه، وما أُمر به، وما نهى عنه، وما بشَّر به وأنذر؛ أي: إنَّ مفهوم التسليم يدلُّ على الاعتراف والإيمان والتصديق القاطع الذي يجعل من المؤمنين آخذين بما آتاهم الرّسُول ومنتهين عمَّا نهاهم عنه.

وعليه:

فقوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) دليل إثبات أنَّ الصَّلاةَ على النَّبي بداية، ثمَّ التسليم به، وبما أرسل به نهاية؛ وهذا يدلُّ على أنَّ الصَّلاة تعني: (الايمان بمُحمَّد أوَّلًا، ثمَّ التسليم بما أنزل عليه نبيًّا مرسلًا) أي: التسليم المطلق بما أُرسل به نبيًّا، فهو قال: (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ولم يقل: (صلوا وسلموا تسليمًا عليه)؛ ولهذا قلنا: الصَّلاةُ هنا جاءت وقفًا على النَّبي (صَلُّوا

[40] البقرة 117.

[41] الأحزاب 21.

عَلَيْهِ) والصَّلاةُ عليه لا تكون إلَّا إيمانًا به؛ أي: آمنوا به، ثمَّ سلِّموا عليه تسليمًا، بمعنى: خذوا واتّبعوا ما جاءكم به نبيًّا مرسلًا دون أن يلحقكم ظنٌّ أو شكٌّ.

أمَّا بالنسبة إلى صلاة الله تعالى على مُحمَّد، فصلاته جعلت من مُحمَّد المبشَّر به وجودًا مشاهدًا (نبيًّا ورسولًا مرسلًا)، وجعلت من المصلِّين عليه والمسلّمين به نبيًّا ذاكرين وحامدين وشاكرين، وجعلت من القرآن المنزّل على النَّبي مُحمَّد آية من آيات صلاة الله عليه.

والسؤال:

هل صَّلاة الله على النَّبي دعاء؟

أقول:

إذا كان الله هو المصلِّي على النَّبي فَمَنْ يا ترى سيكون الدَّاعي، ومن سيكون المدعو؟ أي: من يدعو من؟

إنَّ الله يبارك مخلوقاته، وخير من باركهم خلقًا بارك الإنسان مصداقًا لقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[42]، وخير النَّاس كلّهم الأنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّلام.

ولذا؛ فصلاة الله على النَّبي ليست عبادة؛ لأنَّ العبادة تكون من المخلوق إلى الخالق، بل هي مباركة وتعظيم شأن بعظمة الاصطفاء المنزّه، والرِّسالة المنزَّلة.

[42] التين 4.

إذن: الصَّلاةُ على النَّبي تعظيم شأن ورفعة مكانة، ولهذا فقد عظّمه الله في أحسن تقويم خَلقًا، ثمَّ جعله على خُلقٍ عظيم، ومن ثمَّ عظَّمته الملائكة أخذًا بتعظيم الله، وكذلك المؤمنون يعظِّمونه تسليمًا باصطفائه نبيًّا، وأخذًا بما أُنزل عليه من ربِّه العظيم.

وعليه:

فقوله تعالى: (وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) لا تعني إلقاء السَّلام عليه، بل تعني التسليم به نبيًّا، والأخذ والطَّاعة بما جاء به مرسلًا؛ لأنَّ السَّلام قول يقال، أمَّا التسليم فإيمان يُفعل وطاعة لا معصية من بعدهما.

إذن: صلوا عليه وسلِّموا تسليمًا أمران متَّصلان علاقة؛ إذ لا تغني الصَّلاةُ على النَّبي عن التسليم له تسليمًا قاطعًا: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ}[43].

الصَّلاةُ والسَّلام على النَّبي تنفيذُ أمرٍ:

إنَّ قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) يعني: لا تسألوا أيُّها المؤمنون لماذا الصَّلاةُ على النَّبي بما أنَّ الله وملائكته يصلون عليه، فأنتم أيَّها الخلق ليس لكم إلَّا الصَّلاةُ والسَّلام تسليمًا على النَّبي عليه الصَّلاةُ والسَّلام.

ولهذا فإنَّ خير إجابة (طائعة) على قوله: (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) قول: (عليه الصَّلاةُ والسَّلام)، أو (الصَّلاةُ والسَّلام على

[43] الحجر 94.

النَّبي)؛ فهذا القول: يعد تنفيذ الأمر إرادة ورغبة، أي: إنَّ المستمع أوَّل ما استمع النداء لبَّى الأمر (جعله نافذًا)؛ لأنَّه بقوله: (الصَّلاةُ والسَّلام على النَّبي) قد أقر وأعلن الطَّاعة لأمر الله واتباع النَّبي والتسليم به، وبما أنزل عليه من ربِّه عزَّ وجلَّ تسليمًا قاطعًا.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على مُحمَّد:

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على مُحمَّد تحتوي مفاهيم: (التوحيد، والتسليم، والتوكّل، والتلبية، والاعتراف) أي: توحيد الله، والتسليم له، والتوكّل عليه، وتلبية أمره طاعة بالصَّلاةِ والسَّلام على مُحمَّد، بمعنى: أنَّ المؤمن قد اعترف واستجاب لأمر الله الذي قال: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

وعليه:

فإنَّ قول المؤمن: (اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على مُحمَّد) مع أنَّه يتضمّن في مفهومه الظَّاهر التخصيص، أي: تخصيص الصَّلاة والسَّلام على النَّبي مُحمَّد فإنَّه يحتوي الصَّلاةُ والسَّلام على جميع الأنبياء؛ لأنَّ النَّبي مُحمَّدًا خاتم الأنبياء والمرسلين، ومن يؤمن بمُحمَّد لا بدَّ أن يؤمن بكلّ الأنبياء والرُّسُل؛ ولهذا فعندما تصلّي على أيّ نبيٍّ فإنَّك تخصُّه إلَّا النَّبي مُحمَّدًا فإنَّ الصَّلاةُ والسَّلام عليه لحقان ويعمّان كلّ الأنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّلام، قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[44]؛ ولهذا فالصَّلاةُ والسَّلام على النَّبي مُحمَّد صلاة وسلام

[44] البقرة 285.

على جميع الأنبياء، ولا سيما أنَّ النَّبي مُحَمَّدًا أبلغه الله بأن يقول: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى}[45]، وهنا جاء سلام النَّبي مُحَمَّد على من سبقه من الأنبياء الكرام عليهم جميعًا الصَّلاةُ والسَّلام، وفي هذا القول سبق الحمد السَّلام: (قل الحمد لله) ثمَّ جاء قوله: (وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى).

إذن: كان أمر الحمد أوَّلًا على ما فعله الأنبياء من أعمالٍ عظيمة طاعة لأمر الله، ثمَّ جاء تسليم مُحَمَّد بما عملوا؛ تعظيمًا للأنبياء الذين سبقوه اصطفاءً.

ولهذا نقول: إنَّ مُحَمَّدًا قد سلّم على الأنبياء السَّابقين، وسلّم بما فعلوه في مرضاة الله، وكما أمره الله حمدًا وتسليمًا، ومن هنا فالصَّلاةُ والسَّلام على النَّبي مُحَمَّد الذي سلّم على جميع الأنبياء تشمل الصَّلاة عليهم جميعًا والحمد لله ربّ العالمين. وَقَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"[46].

ولذا؛ فإنَّ قول (اللَّهُمَّ) يحتوي مفهومًا اعترافيًّا بأنَّ الله واحد أحد، وأنَّ مُحَمَّد نبيَّه، وأنَّ التسليم به نبيًّا تسليم مطلق؛ لأنَّه التسليم بالحقِّ، ومن هنا تحتوي كلمة (اللَّهُمَّ) إشهاد الله على قائلها، أي: إنَّ قائلها وكأنَّه يقول: اشهد يا الله أنّي أصلّي وأسلّم على النَّبي كما أمرت، واشهد أني من الطَّائعين والتابعين الآخذين بالأمر الذي يستوجب الاتباع، ومنتهٍ عمَّا ينبغي الانتهاء عنه؛ ولهذا

---

[45] النمل 59.

[46] تفسير القرطبي 15/ 142.

فقول: (اللَّهُمَّ) قول المتوكّل على الله في القول والفعل والعمل (إنَّه قول المؤمن توحيدًا).

وبناءً عليه: فمن يُشهد الله عليه ليس له إلَّا الطَّاعة وهو سبحانه وتعالى عالم الغيب والشَّهادة؛ فالغيب ما غاب عنَّا، ولا ينبغي أن نقول: إنَّ عند الله غيبًا، فالغيب خلق من خلقه فكيف يغيب المخلوق عن خالقه، ولا أن نقول: إنَّ الشهيد مشتق من الشهادة، بل هو سبحانه وتعالى خالق الشهادة التي لغيره، أمَّا شهادته فغير مخلوقة وهي ذاتية سرمدية بلا أوَّلية ولا انتهاء؛ لأنَّه الأوَّل بلا بداية والآخر بلا نهاية.

ولا يمكن أن تأتي الشّهادة من غير الحي، فالحياة لازمة لحصول الشهادة، لأنَّ الحياة تدلّ على القيُّومية، وهذا بالتالي يجعل من الحي المطلق شهيدًا مطلقًا لا يمكن أن يغفل أو ينام، وذلك كما جاء في قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}[47]، فالشهيد المطلق هو من كان مطلق العلم بعباده وبما خلق لما تتطلبه الشهادة من متابعة، ومراقبة وعلم وعدل وهذه الصِّفات لا تكون مطلقة إلا لدى الواحد الأحد الذي يشهد على كلِّ صغيرة وكبيرة ويجعل من كلٍّ منها شاهدة على الإنسان في كتابه يوم تقوم السَّاعة فيقف بين يدي الحي القيوم كما جاء في قوله تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ

[47] البقرة 255.

مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}[48]، ولا يمكن أن تكون هذه الدّقة وهذا النظام إلّا بوجود شهيد دائم الحياة والقيّوميَّة لا يغفل، ولا ينسى، ولا ينام ولا يظلم، وفي تقديم الله للصَّغائر عن الكبائر لأكبر دليل على عدل شهادته ودقَّته وعلمه المطلق بكلِّ شيء، فالغافل لا يمكن أن يدرك كلّ ما حوله، والنَّائم لا بدَّ أن يفوته الكثير من الأمور، والميّت تنتهي علاقته بكلّ شيء منذ ساعة موته، وهذا ينتفي مع صفات الله تعالى الذي يحاسب على كلّ شيء فكيف يحاسب الإنسان على أمر من غير أن يكون شهيداً عليه.

ولهذا أشهد المؤمن (الله) على نفسه بقوله: (اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على النَّبي)؛ أي: إنَّ المؤمن أشهد الله على نفسه لكيلا يخلَّ بعهده الذي أعلن التزامه به أمام ربِّه وهو: (الصَّلاةُ والسَّلام على النَّبي).

سلِّموا تسليمًا:

سلِّموا: تعني ممَّا تعنيه (اعترفوا وأطيعوا) أي: إنَّها لا تعني أسلموا؛ فأسلموا أمر يستوجب الهداية إلى الدِّين الإسلامي: {فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ}[49]، وهي لا تعني السَّلام؛ فالسَّلام مفهوم يقال عند ختام الصَّلاة أو يقال عند اللقاء بالعباد المؤمنين؛ كونه تحيَّة محبَّة، وإعلان المسالمة

[48] الكهف 49.

[49] آل عمران 20.

الآمنة، مصداقًا لقوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ}[50]، وقال: {وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}[51]، أي: في تحيَّتهم معنى رفيع وجميل، يَحترم مَنْ يُلقى السَّلام عليهم، ويشعرهم بالأمن والطمأنينة، وقول السَّلام هنا يأخذ مفهوم العهد الذي لا يُخلَّ به؛ إذ لا خوف من قائله؛ لأنّه القول المطمئن للقلوب.

وعليه:

فمفهوم قوله: (سلِّموا) لا إكراه فيه؛ لأنَّه لم يقل: استسلموا، فالاستسلام لا يكون إلَّا عن مذلّة ودونيّة وقهر، أمَّا مفهوم قوله: (سلِّموا) صدِّقوا؛ لأنَّه الحقّ، وخذوا به؛ لأنَّه رفعة تخرج من الظلمات إلى النُّور (من الجهل إلى المعرفة).

ومن ثمَّ فسلِّموا تعني مما تعنيه: أطيعوا؛ إذ لا حُجَّة لكم أمام الحجّة والنبأ العظيم، ولا داعي للمجادلة فيه، بل عليكم بالقبول والطّاعة، والأخذ بالأمر المبين الذي جاءكم به نبيٌّ مرسلٌ.

تسليمًا: جاء مفهومها بمعنى مطلقًا، ولكن هذا الإطلاق لا يكون إلَّا عن دراية بالأمر المسلّم به؛ إذ لا شكَّ من بعده، وهو الفعل الذي لا يمكن أن يؤخذ أو يتم الإقدام عليه في زمن التردُّد؛ ولهذا جاء مفهوم (تسليمًا) بمعنى قاطعًا.

إذن، قوله تعالى: (وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) مخاطبة للمؤمنين الذين يدركون أنَّ الله هو الحقّ، وقول الحقّ لا يكون إلَّا حقًّا؛ ولهذا يسلِّمون له تسليمًا مطلقًا وقاطعًا ولا رجعة من بعده.

---

[50] الأنعام 54.

[51] يونس 10.

ومن ثمَّ فالمفهوم العام لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) هو أنَّ الله يخاطب المؤمنين فيبلغهم بما يجب أن يعلموه، ويأخذوه حُجَّة، ويسلِّموا به تسليمًا مطلقًا؛ لأنَّ الأمر يتعلَّق بمن آمن ويصلِّي ويسلِّم تسليمًا على النَّبي وعن إرادة، ومن ثمَّ فالتسليم هنا ليس إكراهًا، بل رغبة وعن إرادة، وهذا الأمر يختلف عن أمر الشَّاكِّين والظَّانين الذين لا يسلِّمون إلَّا إذعانًا مصداقا لقوله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[52]؛ أي: يُذْعِنُوا إذعانًا.

ومن ثمَّ فقوله: (تسليمًا) يحمل في مفهومه وجوب الإيمان بالقلب؛ لأنَّ الله يصلِّي على المؤمنين الذين يصلّون له ويصلون على النَّبي، بمعني: بما أنّكم أيّها المؤمنون تصلّون على النَّبي كما أمرتكم فلن تلحقكم المخاوف، ومن يطع الله ويسلّم على النَّبي تسليمًا تامًّا (عن وعي) فقد بلغ التسليم العظيم (المطلق) ممّا يجعله في رعاية الله وحفظه، ولهذا نقول: إنَّ الصَّلاة على النَّبي فوائدها ومغانمها ومكاسبها تعود على المصلّي على النَّبي، بمعنى: تعود على المصلِّي وليس على المصلَّي عليه؛ ولهذا صلّوا على النَّبي وسلّموا تسليمًا يمكِّن المصلّين والمسلّمين على النَّبي من نيل الحسنات التي لا تنال إلّا بالصَّلاة والسَّلام على النَّبي عليه الصَّلاةُ والسَّلام.

الصَّلاةُ على المؤمنين:

[52] النساء 65.

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}[53]، فقوله: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) قول لا يحمل في مفهومه الدُّعاء، بل يحمل الرّحمة؛ ولهذا فالصَّلاةُ من الله على عباده المؤمنين رحمة؛ لأنَّهم يذكرونه كثيرًا ويسبحونه بكرة وأصِيلًا، أي: إنَّها المباركة المكافأة لهم على ذكرهم الله، وتسبيحهم له جلَّ جلاله.

ومن ثمَّ فالصَّلاةُ من الله لم تكن الدُّعاء ولن تكون، بل هي المكافأة الطيبة التي بها تطمئن الأنفس والقلوب؛ فالله يُدعى ولا يدعو، لأنَّ الله وحده مصدر الرّحمة والإجابة، وهو عالم الغيب والشهادة، وبيده الأمر كله؛ ولهذا فالذي يدعو هو من تمسّه الحاجة والعوز ولا يملك الإجابة، أي: إنَّ خالق النعيم ليس في حاجة لمن ينعم عليه.

وعليه:

هل هناك من يُدعى غير الله لأيّ أمرٍ فيجيب؟

بالطبع: لا.

ولأنَّ الصَّلاةَ دعاء؛ وأنَّ الله تعالى يصلّي على النَّبي، فهل النَّبي في حاجة لمن يدعو له، أم أنَّ الذي يعتقد أنَّه يدعو للنَّبي هو من يكون في حاجة لدعائه عليه الصَّلاةُ والسَّلام؟

فالله تعالى ليس في حاجة لمن يدعو له مصداقًا لقوله تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

[53] الأحزاب 41 – 43.

رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[54]، وكذلك الملائكة ليسوا في حاجة لمن يدعو لهم، ولا الأنبياء، ولكنَّ العباد دائمًا في حاجة لصلاة الله وملائكته وأنبيائه.

ولهذا؛ فالصَّلاةُ من الله تعظيم شأن ومكافأة ورحمة، وهي من المؤمنين عبادة، ومن الملائكة استغفار، ومن الرَّسُول سكنٌ: {إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ}[55].

إذن: إنَّ صَّلاة الله على المؤمنين تخرجهم من الظُّلمات إلى النّور قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}[56] جاء مفهوم صلاة الله بمعنى رحمة الله، ومعنى صلاة الملائكة: تسبيحهم برحمة الله على عباده الذين آمنوا؛ لأنَّ الملائكة مجبولون على الطَّاعة؛ ولهذا فهم يعملون على ترسيخ الرّحمة بين المؤمنين، مصداقًا لقوله تعالى: {عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}[57]، أي: إنَّهم أوَّل من يستمع إلى قول الله، وأوَّل من يعمل بقول الله هداية؛ ولهذا فهم لا يسبقونه بالقول، بل يتّبعون قوله عملًا وهداية؛ ولهذا فهم مجبولون على الطَّاعة.

مفهوم (اللَّهُمَّ) تحدٍّ شكّي:

---

[54] البقرة 155 – 157.

[55] التوبة 103.

[56] الأحزاب 43.

[57] الأنبياء 26، 27.

قال تعالى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[58].جاء قول (اللَّهُمَّ) في هذه الآية على لسان الجاهلين بمفهوم الشّكّ مع قبولهم تحدّي الرّسول أن يمطر عليهم حجارة من السَّماء، أو أن يأتيهم بعذاب أليم، ومن ثمَّ أنزلت الإجابة على مُحمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام الذي لو لم يكن مُحمَّد بينهم لكانت الإجابة قاصمة لظهورهم مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ}[59].

ومن هنا فإنَّ كلمة (اللَّهُمَّ) جاءت بمفهومٍ مخالفٍ لما ذكرنها من مفاهيم؛ فالمفهوم هنا لم يكن دعاء، ولا توكّلا، ولا توحيدًا، ولا تلبية، بل إنَّه جاء بمفهوم التحدّي والشّك في استجابة الله لمحمَّد، ولكنَّ الله السَّميع القريب جاءت إجابته حاسمة للأمر: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ).

مفهوم (اللَّهُمَّ) تسليميّ:

قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[60]، يفهم من كلمة (اللَّهُمَّ) كما جاءت هذه الآية إنَّ قائلها لا وجهة له إلّا لله الذي أسلم أمره إليه واحدًا أحدًا. أي: تسليم بأنَّ الله وحده مالك الملك، وتسليم بأنَّ الله وحده يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، وتسليم تام بأنَّ الله

---

[58] الأنفال 32.

[59] الأنفال 33.

[60] آل عمران 26.

وحده يعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء، وتسليم تام بأنّه لا خير إلّا من عند الله. هكذا هو تسليم المؤمن الذي لم يدخل قلبه شكٌّ ولا ظنٌّ في واحديّة الله، وملكه، ومقدرته، وعزّته.

مفهوم (اللَّهُمَّ) دعاء الواثقين:

قال تعالى: {قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}[61]، إنَّه دعاء عيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام الواثق من أنَّ الله القريب سميع يجيب الدُّعاء استجابة للدَّاعي (عيسى) وللسَّائلين (الحواريين) مصداقًا لقوله تعالى: {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ}[62]؛ فكانت الإجابة آية بين يدي الدَّاعي وأيدي السَّائلين.

مفهوم (اللَّهُمَّ) تعجّب معظَّم:

قال تعالى: {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[63]. إنّهم أهل الجنّة، الجنَّة التي مهما نعتقد أنَّها عظيمة فهي أعظم؛ ولهذا يأتي تعجُّب النَّفس من عظمتها ابتهاجًا وسرورًا، فأهل الجنَّة كلَّما تنعَّموا فيها

---

[61] المائدة 114.

[62] المائدة 112 . 113.

[63] يونس 10.

بنعمة تتلذذ أذواقهم بلذّة لم يسبق لهم ذوقها، ولهذا فليس لهم من إجابة تجيب عن لذتها إلَّا قولهم: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) التي تعني ممَّا تعنيه اعترافًا بفضل ذي الفضل الكريم مع وافر التعظيم والتعجُّب المبهجين.

وعليه:

فإنَّ أهل الجنَّة يعظِّمونَ الله بقولهم: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) بمعنى: إنّهم مهما قارنوا بين تلك الأذواق التي كانوا يعيشونها في الحياة الدنيا فلا مقارنة مع نعيم الجنَّة وفردوسها ومأواها؛ ولهذا فهم في سلام لم يحيوه من قبل، إنَّه (سلام الجنَّة)؛ ولهذا فتحيّتهم (سَلَامٌ) مصداقًا لقوله تعالى: (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال: (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) ولم يقل: (وتحيّتهم سلام)؛ لأنَّ في الأولى جاء السَّلام بمفهوم (الفعل المتحقّق) بمعنى القول يحمل الفعل، أمَّا في الثانية فجاء المفهوم (قول يقال): إذ لا فعل في القول إلَّا القول ذاته.

ولهذا فإنَّ قول أصحاب الجنَّة: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) يحتوي في مفهومه حديث المشاعر والأحاسيس تعجُّبًا واعترافًا بفضل الله عليهم.

مفهوم (اللَّهُمَّ) تعظيم مطلق:

إنَّ قول المؤمن (اللَّهُمَّ) يحمل في مفهومه تعظيم الله توحيدًا وتوكّلًا واستعانة؛ أي: من يدعو الله بذاته (الله) فهو يدعوه بكل صفاته، ومع أنَّ اسم الله يحتوي كلّ الصِّفات؛ فإنَّنا لا نستطيع استمداد صفة من اسمه؛ ولهذا عدّد الله لنا صفاته أسماء حسنى؛

فاسم الله هو: (الاسم الأعظم) الذي تتعدّد صفاته وهو الواحد الذي لا يتعدّد: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}[64] أي: إنَّ الذين قالوا: إنَّ اسم الله مستمد من اسم إله قد قصرت معرفتهم عن معرفة اسم الله؛ فالله تعالى خالق، أمَّا الإله فمخلوق، ومن هنا السّؤال يطرح نفسه: هل عقل المؤمن يقبل أنْ يكون خالقه مستمدًّا من المخلوق (الإله) الذي لا يكون إلّا مصنوعًا من الشيء المخلوق كالحجارة على سبيل المثال، أو أن يتخذ البعض الشّمس إلهًا أو غيرها مما خُلق؟

وعليه: فدعاء المؤمن بقوله: (اللَّهُمَّ) هو تعظيم لله أوَّلًا، ثمَّ اعتراف بواحديته، ثمّ إظهار الدُّعاء الذي يعد صاحبه في كربة أو حاجة؛ فتكون الإجابة من الله بصفة المجيب جلَّ جلاله؛ ولذا فالمؤمن ليس له إلَّا تعظيم الله دعاءً وحمدًا وشكرًا، ومع ذلك كلّما شكر المؤمن الله على إجابة زاده إجابة من فضله الواسع: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[65].

مفهوم (اللَّهُمَّ) اعترافيٌّ إيماني:

قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}[66] جاء قول: (اللَّهُمَّ) في إطار المفهوم الاعترافي الذي يظهر الإيمان المطلق بحكم الله العدل فيما يختلف فيه المختلفون؛ ولهذا رسول الله عليه

---

[64] الحشر 22.

[65] إبراهيم 7.

[66] الزمر 46.

الصَّلاةُ والسَّلام كان في كلّ أمر يستعين بالله في حكمه بين المختلفين؛ لأنَّه يعلم أنَّه لا عدل بين النَّاس إلّا عدل الله.

ولهذا فمفهوم: (اللَّهُمَّ) قابل لأن يوظَّف وفقًا للهدف والغرض والغاية والمأمول، ولكلٍّ حسب ما نوى، أي: إذا وظّف في مكانه كانت الإجابة، وإن لم يوظّف في مكانه فلا إجابة؛ ولذا فمن وظّفه مكان الدّعاء كان دعاءً، ومن وظّفه بنيَّة التسليم كان تسليمًا، ومن وظَّفه بنية الشَّكّ كان شكًّا، ومن ثمَّ فمن آمن ليس كمن كفر.

(اللَّهُمَّ) مفتاح رفع القضيَّة:

ومع أنَّ قول (اللَّهُمَّ) مفهومٌ توكُّلي (التوكُّل على الله) فإنَّ هذا المفهوم فيه تماثل مع البسملة من حيث إنَّ البسملة لا يأتي من بعدها إلَّا قول الله، أمَّا قول اللَّهُمَّ فلا يأتي من بعد إلَّا قول من يرفع قضيّته إلى الله؛ يشكوه حاله أو يشكوه الظَّالمين، والمعتدين، والكاذبين، والمنافقين، والغادرين.

وإنْ تساءل متسائلٌ:

لماذا لا يرفع المظلوم قضيّته إلى القضاء العادل؟

أقول:

لأنَّ رافع القضيَّة عندما يسحب ثقته من النَّاس الظَّالمين ليس له بدٌّ إلّا أن يتوجَّه بقضيَّته وشكواه إلى الله العدل، وهكذا عندما تكون معطيات القضيَّة لا يعرفها إلَّا أصحابها ولا شهود عليهم فرافع القضية ليس له من يستمع دعواه إلَّا الشَّهيد العظيم (الله جلَّ جلاله) فيلتجئ إليه مخاطبًا بقوله: مفتاح الدُّعاء (اللَّهُمَّ)، ثمَّ

يعرض قضيَّته التي يعلمها الله تفصيلًا، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}[67].

والمتسائل يتساءل:

ولأنَّ الله شاهدٌ عليها، وهو الحكم العدل، فلماذا ترفع إليه؟ أي: لماذا لا يصدر حكمه فيها وهو العدل الشهيد السَّميع المجيب؟

أقول:

إنَّ الله عفوٌّ يحب العفو، فيترك الفرصة للَّناس لعلّهم يعفون أو يتَّعظون (يستغفرون ويتوبون). ولكن إن قرَّر المظلوم رفع دعوته (قضيَّته) إليه فهو السَّميع المجيب قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}[68]، وقال: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}[69].

ومع أنَّ المظلوم إذا رفع قضيَّته (دعوته) إلى الله أجابه عدلًا، فإنَّ ساعة الإجابة لا يعلمها إلَّا هو عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ إجابته تعالى قد تكون في زمن رفع القضيَّة، وقد تكون تالية عليها؛ إنَّها الإجابة التي يقصر زمنها أو يطول، وفي كلِّ الأحوال ستكون الإجابة حكمًا عدلًا متحقِّقًا.

وعليه:

---

[67] البقرة 186.

[68] البقرة 186.

[69] النمل 62.

فهناك تساؤل استفهامي يلفت أسماع المستغربين، وهو: (أَمَّن يُجِيبُ المضطر)؟

إنَّه التساؤل الذي يحمل إجابته فيه مفهومًا بيِّنًا وهي: إنَّ المجيب هو الله، أي: لا مجيب للمضطر إلَّا الله.

ولأنَّ المجيب بالمطلق هو الله تعالى فاختصار الطرق في طريقٍ واحدٍ مستقيم لا يؤدِّي إلّا إليه؛ ولهذا لا سميع مجيب بالمطلق إلَّا الله الذي تُرفع الدعاوى إليه قضايا عادلة.

سلامٌ على المرسلين

إنَّ قول الله جلَّ جلاله: (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) يتضمّن مفهوم إضفاء صفة الله (السَّلام) على المرسلين عليهم الصَّلاةُ والسَّلام؛ ولهذا فسلام على الأنبياء أصحاب رسالات السَّلام.

إنَّ قوله تعالى: (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) قول تمجيد وتعظيم لما قام به المرسلون من جهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وتوحيده والتبشير بأمره، وتحمّل ما ترتَّب على ذلك من أعباء جسام؛ فسلام على المرسلين لما هم عليه من مكارم أخلاق، وما أنبئوا به من نبأ عظيم، وما حملوا من رسالات خالدة، وما فعلوا وعملوا من أجل توحيد الله واتباع أمره والانتهاء عمّا نهى عنه.

قَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلَى الْمُرْسَلِينَ فَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَقِيلَ: مَعْنَى وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ أَمْنٌ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ"[70]. وقال ابن كثير: أَيْ: سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[71].

ولأنّهم رُسُل الله فسلام عليهم، ولا نفرّق بينهم، مصداقًا لقوله تعالى: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[72].

وعليه:

---

[70] تفسير القرطبي، 15/ 142.

[71] مختصر تفسير ابن كثير، 2/ 195.

[72] البقرة 285.

فمن حيث المفهوم، فالفرق كبير بين: (السَّلام والتسليم) فالسَّلام يعني (الأمن والطمأنينة)، وهذه لا شكَّ أنَّها من الله متحقّقة للمرسلين عليهم الصَّلاةُ والسَّلام (وسلام على المرسلين).

إذن: فمفهوم (وسلام على المرسلين) يظهر بشرى الله وخبره لنبيّه مُحمَّد بأنَّ جميع الأنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّلام قد أتموا ما أمروا به (فسلام عليهم) أي: إنَّ الله قد شكر لمحمَّد رُسُله الذين سبقوه، وفي المفهوم لا استثناء لأيّ نبي من أنبياء الله من آدم إلى الخاتم، فسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

ومن ثمَّ؛ فالتسليم لا يكون إلّا من المخلوق إلى الخالق؛ ولهذا فالله عزَّ وجلَّ صلى على النَّبي ولم يسلّم مصداقًا لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي) أي إنَّه قال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي) ولم يقل: وسلّموا تسليما؛ ولهذا ترك أمر التسليم لمن يتعلّق الأمر بهم وهم المؤمنون، (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ولذا فأمر الله يقام إيمانا وطاعة: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[73].

وبناء عليه: فإنَّ الصَّلاةَ والسَّلام على النَّبي أخذًا بقوله: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) يعنيان:

. طاعة أمر الله.

. الإيمان بأنَّ الصَّلاةَ والسَّلام على النَّبي حقّ ينبغي أن يُقام.

. الإيمان تسليمًا مطلقًا بالرّسُول وطاعته (أخذًا ونهيًا وتجنُّبًا).

[73] آل عمران 132.

. السَّعي لنيل رضا (النَّبي)؛ لأنَّه رضًا من الله، فمن فاز برضا النَّبي فقد فاز برضا الله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[74].

إنَّ مفهوم هذه الآية الكريمة: يرسّخ تعظيم الله للنَّبي مُحَمَّد؛ ولهذا فنحن نقول: إنَّ الصَّلاةَ على مُحَمَّد تعظيم شأنه؛ لأنَّه:

. خُلق على الحمد خَلقًا (مُحَمَّد) أي: إنَّ المحمَّد من عند الله هو المعظّم خَلقًا، ومن هنا جاءت صَّلاة الله عليه حمدًا، ووجبت الصَّلاةُ عليه من العباد حمدًا.

. إنَّه المعظَّم خُلقًا من العظيم عزَّ وجلَّ: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).

وعليه:

نبيٌّ يبلغ هذا المقام المعظّم من خالقه ألا يستحق الصَّلاةَ والتسليم عليه؟

ومن ثمَّ؛ فالصَّلاةُ والسَّلام تسليمًا على النَّبي اعتراف بالحقيقة لا أكثر؛ ولذا فمن يعترف بالحقِّ يتبوأ مكانًا عظيمًا عند الله، أي: فمن أراد أو رغب مكانة عند الله تعالى فليصلِّ ويسلِّم تسليمًا على النَّبي مُحَمَّد، ولا يفرّق بين أحدٍ من رسله.

ويُستمد من (الصَّلاة والتسليم على النَّبي) كما أنزل في قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) متغيرات ثلاثة:

---

[74] القلم 4.

. المتغيّر الأوَّل: الصَّلاةُ على النَّبي، قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ).

. المتغيّر الثاني: الاعتراف، قال تعالى: (وَسَلِّمُوا)، ومفهوم كلمة (سلِّموا) لم يأتِ بمفهوم إلقاء السَّلام عليه، بل بمعنى التسليم له اعترافًا.

. المتغيّر الثالث: التسليم المطلق به وبما جاء به، من معجزات مصداقًا لقوله تعالى: (تَسْلِيمًا). إنَّ مفهوم كلمة (تسليمًا) يشير إلى التسليم المطلق؛ إذ لا شكوك ولا ظنون فيما أُرسِلَ به نبيًّا إليكم: {وَمَا آتَاكُمُ الرّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُو}[75] فخذوا ما آتاكم بالمطلق، وانتهوا عمَّا نهاكم بالمطلق (تَسْلِيمًا).

ومن ثمَّ فالصَّلاةُ هنا ليست صلاة الأوقات الخمس وما يقرّب إلى الله ركوعًا وسجودًا، بل هي الإيمان بالله والنَّبيين عليهم الصَّلاةُ والسَّلام (الإيمان الذي يدفع إلى الرّكوع والسُّجود إليه وحده).

ولهذا فقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[76] نزلت لمخاطبة العقل الممكّن من إدراك الحقيقة، وتبيانها، وكشف اسرارها؛ إذ لا شيء أعظم من أنْ يقال لك: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي)، أي: أيَّها العقل إذا كان الله وملائكته يصلّون على النَّبي فَلِمَ لا تصلّي عليه؟ مع العلم إذا صليت عليه يصلّي عليك مصداقًا لقوله تعالى: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ}[77]؛ ولهذا فالصَّلاةُ

---

[75] الحشر 7.

[76] الأحزاب 56.

[77] التوبة 103.

على النَّبي هي إعلان الإيمان به والاعتراف برسالته، أمَّا التسليم: فهو الأخذ بها، واتباع أوامرها، ونواهيها كما أُنزلت من الله تعالى على النَّبي مُحمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام.

وعليه: مع أنَّ الله يسلّم على أنبيائه مباركة وتمجيدًا فإنَّه لا يسلّم تسليمًا إليهم؛ لأنَّ السَّلام مباركة لهم، وهذه لا تكون مطلقة إلَّا من عند الله، أمّا التسليم فيستوجب الطَّاعة وهذه لا تكون إلّا من المخلوق للخالق؛ ولهذا جاء في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، أي: جاء القول معلنًا لصلاة الله على النَّبي، وفي المقابل جاء قول التسليم أمرًا للمؤمنين؛ ولهذا لم يقل الله: (إنَّ الله وملائكته يصلون ويسلمون على النَّبي تسليمًا) بل قال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

والسَّلام قد يكون ذا مفهومٍ عامٍّ على جميع المرسلين مصداقًا لقوله تعالى: {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ}[78]، وقد يكون خاصًّا مصداقًا لقوله: {سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ}[79] وقوله: {سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ}[80]، وقوله: {سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ}[81]، وقوله: {سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ}[82]. كلّ هذه السَّلامات (العامّة والخاصّة) هي سلامات ثناء من الله تعالى على أنبيائه عليهم الصَّلاةُ والسَّلام،

---

[78] الصافات 181.

[79] الصافات 79.

[80] الصافات 109.

[81] الصافات 120.

[82] الصافات 130.

ولا تسليم فيها لأيّ نبيء؛ لأنَّ التسليم على الأنبياء وبهم فرض من الله على المؤمنين، أي: (الفرض من الله وليس عليه فرض).

ولهذا جاءت كلمة (سلام) من الله تعالى على رُسُله حاملة لمفهومٍ يُميّزهم بالنبأ الذي كان سلامًا عليهم وعلى المؤمنين، ومن ثمّ تعد كلمة (سلام) ضمانًا للأنبياء من القصور أو التقصير، وشاهدة على أدائهم الأمانة، وحملهم ما ترتّب عليها من أعباء جسام (فسلام على المرسلين).

ومع أنَّ السَّلام على الأنبياء لا يقال إلّا اعترافًا، فإنَّ سلام الله على الأنبياء ليس اعترافًا؛ لأنَّ الاعتراف لا يكون إلّا من مخلوق عاقل (يخطئ، ويصيب، وتدمغه الحُجَّة فيستجيب لها)؛ ولذا فسلام الله على الأنبياء سلام عالم الغيب والشهادة، مصداقًا لقوله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[83].

ولأنَّ أقوال المرسلين وأفعالهم وأعمالهم كانت في طاعة الله ومرضاته (فسلام على المرسلين).

وكلمة (سلام) مستمدّة من اسمه (السَّلام) الذي هو من أسماء الله الحُسنى، وفي اللغة يعني: "البراءة من العيوب والنقائص، ويشمل في مضمونه معاني متعدِّدة كالسّكينة والأمان والاستقرار والهدوء"[84].

---

[83] التوبة 105.

[84] محمد متولي الشعراوي، أسماء الله الحسنى، القاهرة، أخبار اليوم، قطاع الثقافة ص 149.

والسَّلام "هو الذي سلمت ذاته وصفاته وأفعاله من كلِّ ما لا يليق بكماله، وكذلك من اسم السَّلام اشتق الإسلام وهو دين الله"[85] مصداقًا لقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}[86].

ويقول الإمام ابن القيم: في اسم السَّلام جل جلاله قولان: "أحدهما أنَّه مصدر، وإطلاقه عليه كإطلاق العدل عليه، والمعنى: أنَّه ذو السَّلام، وذو العدل على حذف المضاف، والثاني: أنَّ المصدر بمعنى الفاعل أي: السّالم كما سمّيت ليلة القدر سلامًا أي: سالمة من كلِّ شر، بل هي الخير لا شرَّ فيه"[87].

قال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ}[88] في هذه الآية كلّ اسم من أسمائه الحُسنى يؤكّد على الصّفة التي تسبقه ويحتويها، فالملك هو الله، والقدوس هو الله، والسَّلام هو الله؛ ولذا فإنَّ جميع الأسماء الحُسنى هي صفات لله جلَّ جلاله؛ ولأنَّها صفات الله تعالى فهي بطبيعة الحال تحتوي كلّ صفات الكمال فيها؛ ولذلك فإن اسم الله تعالى يحتويها.

ولأنَّ الله تعالى واحد أحد لا شريك له في الملك وله الأسماء الحسنى؛ كان السَّلام صفة من صفاته، ولو لم يكن السَّلام صفة لله تعالى لفسدت الأرض؛ ولأنَّ الله واحد أحد جاء السَّلام صفة للاستقرار والطمأنينة.

---

[85] أحمد عبد الجواد، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، الدار البيضاء، دار الثقافة ص 37.

[86] آل عمران 19.

[87] مشرف على عبد الله، منهج ابن القيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى. الدمام، دار ابن الجوزية الطبعة الأولى 2005 ص 279.

[88] الحشر 23.

وعليه: فالسَّلام أمر يعمُّ النَّاس ويخصّ البعض: يعم النَّاس باعتباره حقًّا عامًا من السَّلام الحقّ، ويخصُّ البعض باعتباره لن يكون إلا للذين يعملون عليه؛ ولهذا فالسَّلام قوّة لا يُمكن أن يحققه الضعفاء؛ ومن ثمَّ فالذين استجابوا هم الأقوياء محقّقو الاستقرار والأمن والعدل سلامًا، قال تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}[89]، وإن جنحوا للسلم تعني: إن جنح الخصم أو العدو إلى القبول بإحقاق الحقّ فلا ينبغي المكابرة، وعلى المسلم أن يقبل بذلك قبل غيره؛ مع العلم أنَّ امتلاك القوّة هو الذي يجعل العدو يجنح إلى ما يبتغيه المسلم وهو السَّلام وبلا مظالم.

قال تعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[90] الله يدعو إلى دار السَّلام، فهو يدعو إلى دار الحقّ؛ ولأنَّ الجنَّة لا ظالم ولا مظلوم فيها، ولا سيد وعبد، ولا حاكم ومحكوم، ولا خائف ومخيف، ولا فقير وغني، فإنَّها دار السَّلام: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ}[91].

ولذا؛ فالسَّلام حُجَّة من الله تعالى بها يتمكَّن المسلم الجانح إلى السَّلام عدلًا من دخول الجنَّة، وها هم أولاء الذين دخلوها بسلام يعيشونها وأزواجهم حقيقة فيها يتلذذون من كلِّ طيب، وهم في هذا السَّلام الدَّائم يدخل الملائكة عليهم من كل باب فسلام

---

[89] الأنفال 61.

[90] يونس 25.

[91] يس 55 – 58.

على المرسلين والصديقين الذين أسلموا وجوههم لله ربّ العالمين، قال تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}[92].

إذن: السَّلام هو العنوان العام لكلِّ من يريد أن يكون مسلمًا، والعنوان الخاصّ للذين أسلموا وجوههم لله تعالى؛ ولذا في أساس السَّلام التعميم دون التخصيص، وبالإرادة والاختيار يكون التخصيص سابقًا على التعميم.

ولأنَّ السَّلام اسم لله تعالى، ومصدر للسَّلامة، ومبعث للإسلام، وشعار للمسالمة، وتحيَّة للمسلمين، فإنَّه مفتاح أمان لأهل الجنَّة {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ}[93]. أي: ادخلوا الجنَّة وأنتم مطمئنون فلن يصاحبكم بعد اليوم حزن، ولا خوف، ولا ألم ولا مخمصة، ولا يرهقكم ذلٌّ؛ فقوله: (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ) يحمل في مدلوله مصاحبة السَّلام للداخلين إلى الجنَّة، أي: ادخلوها بقوَّة السَّلام جلَّ جلاله؛ فهي لكم وأنتم إليها.

إنَّ السَّلام من الله على المرسلين الكرام سلام تكريم؛ لأنَّهم أدوا الأمانة، وحملوا الرِّسالات، ودعوا العباد لتوحيد الله، وعدم الشرك به، وإقامة العدل؛ فكانوا خير خلفاء لله على الأرض الدُّنيا بالرّغم ممّا ألمَّ بهم من ابتلاءات، وما واجههم من صعوبات تحدّوها حتى قُهرت.

---

[92] الرعد 23، 24.

[93] الحجر 46.

المرسلون قهروا الصِّعاب:

بُعِثَ المرسلون عليهم الصَّلاةُ والسَّلام إلى شعوبهم، وأقوامهم، وقراهم، ومدنهم، وللكافة؛ لمواجهة الباطل والتبشير بالحقِّ والعمل على إحقاقه بالتي هي أحسن، ومع ذلك فإنْ أسوء المواجهات لهم كانت مع الأقارب الذين اتخذوا من دون الله أربابًا.

فقد كذَّبوهم ووصفوهم بما لم يكن فيهم، ومع ذلك صبروا وتحدّوا الصِّعاب كلّها حتى قهروها، (فسلام على المرسلين).

فسلامٌ عليهم؛ لأنَّهم كانوا كما شاءهم الله خلفاء في الأرض، لقد قهروا الصِّعاب الواحدة تلو الأخرى حتى مهدوا السُّبل المؤدِّية للحقّ بالرُّغم من كره الكافرين والمجرمين.

ولهذا فالصِّعاب أمام المرسلين والمؤمنين بإحقاق الحقّ لم تصمد، ومع أنَّها لم تصمد فإنَّها تستوجب مزيدًا من الجهد كما فعل المرسلون، فسلام عليهم.

لقد قُهرت الصِّعاب العظيمة على أيدي المرسلين عليهم السَّلام؛ لأنَّها لم تكن مستحيلًا؛ ولأنَّها الصِّعاب فهي لا تواجه إلَّا المؤمن الذي يعمل، أمَّا الكسالى فلا صعاب تواجههم.

لذا فقد أثبت المرسلون عليهم السَّلام أنَّ الصِّعاب لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرًا ومزيدًا من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف، أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به، ولا مستحيل في دائرة الممكن حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصِّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصِّعاب إن لم تداهم ارتقاءً، لا بدَّ وأن

تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاءً، فإنَّه لا ارتقاء لخرق المستحيل، فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصِّعاب.

ولأنّ الممكن ارتقاء يُمكِّن من تحدّي الصِّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوَّة تدبُّر حتى يقهرها إرادة كما قهرها المرسلون عليهم السَّلام.

وعليه:

إذا أردت تحدِّى الصِّعاب فعليك:

. ألَّا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبًا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيًا بالحقّ لا بغيره.

. اصّمد فالصّعب لا يصمد. أي: عليك أن تعرف أنَّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما هزمه المرسلون الكرام عليهم السَّلام.

. الصّعب لا يزيد على كونه حيويّة؛ فينبغي له أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها، أي: لا يمكنك أن تهزم خصمًا وأنت لم تمتلك

ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية، ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحًا وتصالحًا وعفوًا {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[94].

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنَّها ممكنة فَلِمَ لا تواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائمًا أفضل من البعض، أي: دائمًا المرسلون هم الأفضل، ثمَّ المؤمنون الصّابرون والواعون بأنّ الحقّ يُحقّ فيعملون على إحقاقه تحدّيًا وقهرًا للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث إنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة؛ ولهذا الصّعب يُقهر والباطل يُبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدين والمتحدّين الصَّابرين الذين يتخذون المرسلين قدوة في القول الحقّ، والفعل الحقّ، والعمل الحقّ، والسُّلوك الحقّ.

. اقبل بدفع الثّمن جهدًا ووقتًا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلًا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجًا دون أن تغفل عن تقوى الله، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسوِّلًا مع المتسوِّلين على الأرصفة وبين الأزقة.

---

[94] الأحزاب 25.

. أهّب نفسك لتقوى الله تجد الله لك نصيرًا، أهَّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي حقًّا تجد نفسك متحدّيًا للباطل، ومتحدّيًا للحاجة، وأهّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب مستسلمة.

فالتأهّب لتحدّي الباطل والظلم يقوّي الإرادة ويرسّخ الإيمان في القلب، والتأهُّب لتحدّي الصِّعاب يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاءً أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى كما فعل المرسلون عليهم السَّلام.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاءً لابدّ أن يكون متأهّبًا لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجآت في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصِّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبَّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، الغاية أن تسود الحياة بين النَّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير؛ ولذلك فالغاية من بعد الحلّ بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، فإنَّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاءً بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدّون إليها، ويتأهبون لتحدّي الأمر الصَّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل يُمكِّن من نيل المأمول.

ومن هنا، تعد الصِّعاب مجموعة من المعيقات التي لا يتمُّ تجاوزها إلَّا بالإزاحة، أي: لا إمكانية لإنجاز الأهداف، وتحقيق الأغراض، وبلوغ الغايات، ونيل المأمولات ما لم تُزَح العوائق من السَّبيل المؤدّي إلى ذلك، ولكن بالتي هي أحسن، وبخاصّة بعد أن يتمّ تبيّن الحقّ من الباطل كما بيّنه المرسلون لكفار عصورهم ومشركيها حتى قهروهم، وقهروا الصِّعاب معهم (فسلام على المرسلين) قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[95].

وعليه:

فالصِّعاب إن لم تداهم تحدّيًا، تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق، والإيمان بالله تعالى متّصل لا ينفصل (فسلام على المرسلين) الذين تحدّوا الصّعاب ومهَّدوا السُّبل إلى نشر السَّلام بين النَّاس.

السَّلام على المرسلين اعترافًا:

السَّلام على المرسلين من قِبل المؤمنين هو سلام اتباع واعتراف، اتباع لما قاله الله للمرسلين: (سلام على المرسلين) الذين نذروا أنفسهم لله، وخلصوا لربِّهم ولرسالاتهم فدعوا، وبشروا، وأنذروا، وحرّضوا، وجاهدوا حتّى أتموا ما أُرسلوا به وأُمروا من عند الله؛ فسلام عليهم (سلام على المرسلين)؛ أمَّا الاعتراف اتباعًا: فإنَّ المؤمنين مُقرُّون بأنَّ المرسلين قد أتموا رسالاتهم بالرّغم من الصِّعاب

[95] البقرة 256.

التي واجهتهم وقد هزموها، وبالتَّالي فإنَّ ما أنجزه المرسلون ليس بالأمر الهين، ولو كانت تلك الصِّعاب على قيد الحياة تواجه المؤمنين فقد لا يتمكنون من مواجهتها وقهرها؛ ولهذا فليس لهم إلَّا أن يقولوا: (سلام على المرسلين).

مفاهيم السَّلام

السَّلام أمنًا:

مع أنَّ لمفاهيم الكلمة مشتقاتها فإنَّ جميع المشتقات السَّلاميَّة هي مستمدَّة من اسم الله (السَّلام)؛ ولهذا فإنَّ مفهوم السَّلام المستمدّ من اسمه السَّلام جلَّ جلاله هو مفهوم ضمان الطَّمأنة والاستقرار الآمن مع وافر الإخلاص؛ إذ لا غدر، ولا خيانة، ولا مظلمة، ولا عدوان، ولا انتكاسة مفاجئة إلَّا وفاءً سارًّا وثقة واحترامًا متبادلين.

ولأنَّ الثِّقة المتبادلة مصدر الطمأنينة بين النَّاس فاعتمادها قيمة بين النَّاس ضرورة، قال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا}[96]، أي: اجعلوا الثِّقة قيمة مقدَّرة بينكم ومع الغير، وأعطوا الفرصة وقتها، ولا تكونوا من الغافلين، قال تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ}[97]، يفهم من هاتين الآتين الكريمتين وجوب التبشير بكلِّ ما يؤدّي إلى السَّلام ويحقِّقه بمختلف الأساليب والسُّبل الميسّرة لتحقيقه كما يسرها المرسلون بعد تحدٍّ للصعاب وقهرها فسلام على المرسلين.

---

[96] النساء 94.

[97] المائدة 15، 16.

قال تعالى: {وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ}[98] تؤكّد هاتان الآيتان أنَّه لا سُبل تستقيم إلّا بالسَّلام الآمن، ولا دار يركن إليها ويستقرُّ فيها إلَّا دار السَّلام الآمن، وخير دياره الجنَّة، ولهذا يدعو الله إليها مصداقًا لقوله تعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[99].

إذن: الدّعوة من الله مفتوحة إلى دار السَّلام، فمن شاءها فالعمل من أجل سلامته كما عمل عليها المرسلون عليهم الصَّلاةُ والسَّلام.

السَّلامُ تحيَّة:

السَّلام تحيَّة المسلمين وهو بمنزلة شعار إعطاء الأمان، قال تعالى: {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}[100]، أي: إنَّ للمسلمين رسالة (توحيد الله مركزها)، ولهم من مفاتيح الرّحمة ما لهم، ولكن أعظمها (السَّلام)، أي: إنَّ تحيَّة الإسلام إعلان المسالمة للجميع، ولا عدوان ولا مظالم؛ ولهذا فالسَّلام مبادلة بين النَّاس، اعهد إليَّ بالسَّلام نعهد إليك بسلامٍ، ونبادلك إيَّاه، قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ}[101].

---

[98] الأنعام 126، 127.

[99] يونس 25.

[100] يونس 10.

[101] هود 69.

السَّلام في هذه الآية يأخذ أكثر من مفهوم؛ فقوله: (قَالُوا سَلَامًا) ليس بالضرورة أنَّهم قالوا: (السَّلام عليك) بل الأقرب للمفهوم أنِّهم قالوا: كلّ ما يطمئن القلب والنفس، وبالتالي ردَّ عليهم إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسَّلام بما يطمئن القلب والنفس، أي: كان الحوار بين من تطمئن قلوبهم بذكر الله.

أمَّا قولهم: سلام عليك يا إبراهيم، أو سلام عليك وزوجك، فهذه تحية لا تكون إلَّا بداية اللقاء وقبل الجلوس.

ولهذا جاء قوله تعالى: (قَالُوا سَلَامًا)، ولم يقل: (ألقوا سلامًا) أو إنَّ إبراهيم بادلهم (تحيَّة سلامً)؛ ولأنَّهم (قالوا سلامًا) فهم قالوا كلّ ما يطمئن ولم يتركوا شيئًا يطمئن القلب والنفس إلَّا وقد قالوه، وتبادلوه، ومن هنا يتضح الفرق بين قول: (السَّلام) وقول شيء منه، أي: إنَّ تحيَّة السَّلام لم تكن قول سلام فهي مجرّد تحيَّة، ومع أنَّها مجرّد تحيّة فإنَّها تشعرك سلامًا مصداقًا لقوله تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}[102]. وتحيَّتهم فيها سلام، بمعني أنَّ التحية لم تكن سلامًا كاملًا ولا تامًّا، ولكنَّها استشعار سلام؛ لأنَّ مفهوم تحيَّة الإسلام يتضمَّن السَّلام فيه.

إذن: هناك فرق كبير بين مفهوم السَّلام تحيَّة، والسَّلام التزامًا وعهدًا أي: (سلام لا تنفصم عراه)؛ ولهذا فقول السَّلام: إفصاح عن غاية، وعن مأمول مصداقًا لقوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}[103]، فالصفح هنا تجاوز عمَّا عملوا، وبعد الصَّفح ينبغي الإفصاح لهم عن السَّلام؛ لكي يعلموا ما لهم وما

---

[102] إبراهيم 23.

[103] الزخرف 89.

عليهم، ولعلَّهم به يلتزمون، فإن التزموا بالسَّلام سيعرفون أنَّ السَّلام مكمن الحلول الآمنة، وهذا ما انتهجه المرسلون فسلام على المرسلين.

السَّلام مجازاة إحسان:

السَّلام عندما يُتوَّج به من يُتوَّج، أو يُمنح لمن يُمنح جزاء إحسان من الله تعالى، لا شكَّ أنَّه يُدخل أهله الجنّة الواسعة كما أُدخل إليها الأنبياء الكرام عليهم السَّلام فقد جازى الله أنبياءه العظام مجدًا خلَّد ذكراهم، وأسكنهم فسيح جنَّاته على ما تحمّلوه من أعباء جسام في سبيل التبليغ والتبشير والهداية والدّعوة مصداقًا لقوله تعالى: {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ}[104]؛ فالله جلَّ جلاله مجازٍ عباده وفقًا لأعمالهم خيرًا لأهل الخير، وشرًّا لأهل الشّر، قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[105].

ولأنَّ جزاء الإحسان عند الله إحسان، جاء جزاء نوح عليه السَّلام من الله سلامًا، قال تعالى: {سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[106]، وهكذا دائمًا الله يجزي المحسنين سلامًا مصداقًا لقوله تعالى: {سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[107]، وقال: {سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ

---

[104] الصافات 181.

[105] الزلزلة 7، 8.

[106] الصافات 79، 80.

[107] الصَّافات 109، 110.

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[108]، وهكذا قال: {سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[109].

ولأنَّه الجزاء؛ فالجزاء يتنوَّع من العلم والحكم والحكمة والسَّلامة والأمن إلى الفوز بالجنّة وما فيها من عظائم الخُلد والبقاء الدَّائم، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[110]، وهكذا كان الجزاء لموسى عليه السَّلام {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[111].

وعليه: فإنَّ السَّلام من الله جزاءٌ، والسَّلام من الملائكة طاعة، والسَّلام من المؤمنين اعتراف، فالسَّلام حقٌّ لا يمنح إلَّا لأصحابه الذين به تمجّد سيرهم وأفعالهم وأعمالهم، وبه يعظّمون.

السَّلام من الله ليس قولًا يقال، بل السَّلام من الله تجسيد مكارم ونعيم مع تيسيرهما بين أيدي من جازاهم الله به فسلام على المرسلين؛ ولأنَّه الجزاء الأوفى من الكريم عزَّ وجلَّ فلا تفاخر من بعده، بل من بعده الحمد لله ربّ العالمين قال تعالى: {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[112].

---

[108] الصافات 120، 121.

[109] الصافات 130، 131.

[110] يوسف 21، 22.

[111] القصص 14.

[112] يونس 10.

سلام على المرسلين من بعد الابتلاء:

الابتلاء ملازم لسير الأنبياء بوجه عام، ولا نكاد نجد نبيًّا من أنبياء الله إلَّا وقد مرّت به صنوف من الابتلاء، وكأنَّ الابتلاء لازم أساس لكلِّ نبي فينتج عنه صبرٌ وعزاءٌ لكلِّ من آمن بالله ربًّا، وبأيِّ رسول مرسل من عند الله سبحانه وتعالى.

وبالربّط بين ابتلاءات الأنبياء، وابتلاءات أبيهم آدم يتبيَّن الآتي:

- كل أنبياء الله كانت ابتلاءاتهم في الأرض.
- سيدنا آدم أبو البشر كانت ابتلاءاته في السَّماء.

والابتلاء في حقّ الأنبياء مآله إلى الخير، قال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}[113] إنَّه يبلوهم ليبصرهم أيّهم أطوع لله، وأشد استمرارًا على الطَّاعة؛ لأنَّ من على هذا الحال هو الذي يفوز بالجنّة؛ فبيَّن تعالى أنّه كُلِّف لأجل ذلك لا لأجل أن يعصى، وقيل معنى نبلوهم بمعنى نعلِّمهم أيًّا منهم أحسن عملًا 114.

وعليه فكان ابتلاء آدم بين اثنين:

ملك مطيع مستفسر، {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ

---

[113] الكهف 7.

[114] تفسير الرازي، ج 8، ص 371.

وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}115.

2- جن عاص كافر، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا}116.

وقد اجتاز آدم الابتلاءين بالإنباء والاستغفار والتوبة، فكان الخليفة على الأرض؛ فسلام عليه.

وهكذا كانت ابتلاءات إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسَّلام كثيرة متعدِّدة، يظهر كلّ ابتلاء منها من الصّفات التي يجب على من يؤمن بالله تعالى أن يقتدي به فيها.

ومن ابتلاءات إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسَّلام:

. ابتلاؤه في أبيه (آزر) المصرّ على الشرك بالله، الرَّافض لاتباع الحقّ فشكلّ ذلك عبئًا على إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسَّلام نتيجة ما يكنّه له من حبٍّ فاستمر معه محاولًا إقناعه بترك عبادة ما لا ينفع إلى عبادة الواحد المجيب قال تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرّحمن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}117.

---

115 البقرة 30.

116 الكهف 50.

117 مريم 42 - 45.

. ابتلاؤه في قومه الذين كفروا فكان عليه:

إرشادهم: قال تعالى: {قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالحقّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ ربّكُمْ ربّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}[118]

محاججتهم: قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا ربّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا ربّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي ربّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا ربّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ ممّا تُشْرِكُونَ}[119].

. ابتلاه في نفسه بالرّمي في النّار: وهذا يحوي عدة ابتلاءات منها:

إرهاب قومه له وتهديدهم، ابتلاء.

جمع الحطب، وإشعال النّار أمامه ابتلاء.

رؤية إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسَّلام النّار ملتهبة، ابتلاء.

إلقاؤه عليه الصَّلاةُ والسَّلام على الحطب المشتعل نارًا، ابتلاء.

وفي كلّ ذلك ظهر عنده التحدّي بالإيمان والصّبر والثبات على المبدأ الإيماني بالله تعالى.

---

[118] الأنبياء 55، 56.

[119] الأنعام 74 – 78.

. ابتلاه بذبح ابنه.

كلّها كانت على إبراهيم سلامًا كما كانت النَّار عليه برد وسلام؛ فسلام على إبراهيم، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين.

وهكذا تعرَّض الأنبياء من بعده للابتلاءات؛ فقد تعرّض النَّبي يوسف عليه السَّلام للابتلاءات الشديدة، ولكنّه سلم منها جميعًا؛ ذلك لأنَّه نبي الله ورسوله الذي اصطفاه وجعله آية. روى أنس رضي الله عنه قال: "أوحى الله تعالى إلى يوسف عليه السَّلام قائلًا: "من أستنقذك من القتل حين همَّ إخوتك أن يقتلوك؟ قال: أنت يا ربّ. قال: فمن استنقذك من الجبّ إذ ألقوك فيه؟ قال: أنت يا ربّ. قال: فمن أستنقذك من المرأة التي همّت بك؟ قال: أنت يا ربّ. قال: فما بالك نسيتني، وذكرت آدميا؟ قال: يا ربّ، كلمة، تكلّم بها لساني! قال: وعزّتي لآخدنَّك في السّجن بضع سنين"120.

كان يوسف عليه السَّلام جميلًا في أحسن تقويم، بل كما ذكر الرّسول عليه الصَّلاةُ والسَّلام أنّه أعطي شطر الجمال121، إنَّه جمال أهل الجنَّة؛ ولهذا فُتنت امرأة العزيز التي راودته في بيتها، وكذلك نسوة المدينة اللاتي قطَّعن أيديهنَّ. فهو مؤمن على الكمال والرّفعة، وعلى الفضائل في مرضاة الله تعالى الذي قال، {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ

120 جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، ص 561.

121 فضائل الصحابة، محمّد حسن عبد الغفار، 7، ص 2، بترقيم الشاملة آليا.

قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ ربّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}122، وهكذا كما سبق تبيانه كانت الابتلاءات ليوسف، وهكذا سلِم يوسف منها؛ فسلام على يوسف123.

وعليه: فإنَّ الابتلاء قبول بدفع الثَّمن في سبيل استمرار الطَّاعة ومقاطعة المعصية وتحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء في سبيل استمرار الطّاعة والكفر بالكفر.

وابْتَلَيْته تعني: "اخْتَبَرْته، وبَلاهُ يَبْلُوه بَلْوا: إذا جَرَّبه واخْتَبَره، وابْتَلاه الله: امْتَحَنَه"124.

ونحن نقول:

مفهوم الابتلاء غير مفهوم البلاء وإن كان المصدر اللغوي واحدًا، فالابتلاء تمسُّك بالحقّ عن وعي وإرادة؛ ممّا يجعل نتائجه في دائرة الموجب والمفضل والمحمود، أمَّا البلاء عندما يكون في دائرة النسبيَّة السلبيَّة فهو من مجموع المصائب التي ينغمس البعض فيها كفرًا، أو فسقًا، أو شركًا، أو شرًّا ممّا يجعل نتائجها في دائرة السَّالب المرفوض والمذموم قيميًّا وأخلاقيًّا، قال تعالى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا}125، يُفهم من هذه الآية الكريمة أنَّ الابتلاء غير الإبلاء؛ فالابتلاء هو أعمال وأفعال نتائجها مكللة بالفوز عن إرادة ورغبة ورضا، والإبلاء هو بذل الجُهد وتسخير الإمكانات أحسن التسخير ممّا يجعل العمل

---

122 يوسف 23.

123 دروس الشيخ محمد الدويش، 13، ص 35، بترقيم الشاملة آليًّا.

124 لسان العرب، ج 14، ص 83.

125 الأنفال 17.

والفعل نِتاج مثابرة واجتهاد، وهذه المثابرة محمودة في الرزق وكسبه والجهاد حتى تحقيق النصر والنجاح في تجاوز العقبات إذا ما اعترضت السُّبل المؤدّية إلى تحقيق النّصر أو النّجاح، وهنا يعود البلاء الحسن إلى ما يبذل من جهد إبلاء، ولا يعود إلى ما يُرتكب من بلاء من أيدي النَّاس، أو على أيديهم.

والمبتلى: هو الذي يتعرَّض للامتحانات في دينه، أو جسمه، أو نفسه، أو عقله، أو ممتلكاته، أو أسرته، أو عمله ومع ذلك ينجح في جميع الامتحانات التي يتعرّض لها بتفوّق وفوز مع فائق الطمأنينة القلبيَّة، وهذا حال جميع الأنبياء الكرام الذين منهم يونس صلَّى الله عليهم وسلَّم الذي تعرَّض إلى ابتلاءات من صعبة إلى أصعب.

وعليه: فالابتلاء يكون في الخير دون الشَّر، والبلاء قد يكون في الخير وقد يكون في الشرّ حفظنا الله من كلِّ شرّ وألا يُحمِّلنا ما لا طاقة لنا به، ويعفو عنَّا، ويغفر لنا، ويرحمنا إنَّه الرّحمن الرّحيم.

إذن: الله جلَّ جلاله يبتلي عباده الصَّالحين ليزدادوا صلاحًا وليستمروا عليه وهم به متمسِّكون دون تردّد، أمَّا البلاء في دائرة السلبيّة فلا يكون إلَّا من أيدي النَّاس، مصداقًا لقوله تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}[126]، أي: إذا أصابك ما أصابك من الله فهو ابتلاء (خير)، أمَّا ما يصيبك من يديك أو أيدي النَّاس فهو البلاء (الشرّ)؛ ولأنّ البلاء من أيدي النَّاس قال تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ

[126] النساء 79.

آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلَاءٌ مِن ربّكُمْ عَظِيمٌ}127.

يُفهم من هذه الآية الكريمة أنَّ ما كان يقوم به فرعون من ظلم للنَّاس هو بلاء عليهم (شر) فهو الذي سامهم سوء العذاب بلاءً، وهو الذي ذبَّح أبناءهم بلاءً.

وعليه: فالابتلاء اختبار لمن هم على درجات الرّفعة إيمانًا خالصًا وطاعة لأمر الله تعالى؛ ولهذا جاء في لغتنا العربيّة معنى ابتليته ابتلاءً بمعنى اختبرته اختبارًا.

والمبتلى هو المجربّ الذي أثبت صبره على الطّاعة والعمل الصَّالح مع القبول بكلِّ ما يترتَّب على ذلك من أعباء ومصاعب وامتحانات أو تجريب.

ولهذا؛ فالابتلاء لا يكون إلَّا في الخير، فمن صبر على ابتلائه فاز وكسب، ومن لم يصبر على ابتلائه انهزم وخسر، قال تعالى: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ ربّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ ربّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ ربّي أَهَانَنِ}128.

ولأنَّ يونس صلّى الله عليه وسلّم رسول مُجتبى من الله اجتباءً فقد ابتلاه الله بما كانت نتائجه خيرًا كثيرًا فجعله حاصدًا لِما زرع من خيرات حِسان، ومن هذه الابتلاءات:

. ابتلاه الله عزّ وجلّ بمعصية قومه الأمر الذي اجتبى له رسولًا.

---

[127] البقرة 49.

[128] الفجر 15، 16.

. أبتلي بدحضه من الفلك المشحون مصداقًا لقوله تعالى: {فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ}129.

. ابتلاه بالتقام الحوت له مصداقًا لقوله تعالى: {فَالتقمهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أنّه كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}130.

. ابتلاه بالنبذ في العراء وهو سقيم مصداقًا لقوله تعالى: {فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ}131.

.كان مُبتلىً بضيق أنفاسه في بطن الحوت ممّا جعله مكظومًا أي؛ في ظلمة، قال تعالى: {وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ}132.

ولقد كُلِّلت ابتلاءات يونس عليه السَّلام بالسَّداد والنَّجاح والفوز العظيم الذي منه:

. اصطفاؤه للرِّسالة، قال تعالى: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}133.

. التقام الحوت له كان سببًا لنجاته من الغرق؛ إذ التقمه الحوت التقامًا قبل أن يقع في الماء ويغرق، قال تعالى: {فَالتقمهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ}134.

---

129 الصافات 141.

130 الصافات 142 . 144.

131 الصافات 145.

132 القلم 48.

133 الصافات 139.

134 الصافات 142.

. عدم لبثه في بطن الحوت، قال تعالى: {فَلَوْلَا أنه كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ}135.

. نعمة الرِّعاية والعناية بعد أن تم نبذه بالعراء، قال تعالى: {لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ ربّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ}136.

. إنبات شجرة اليقطين عليه؛ لتكون له مظلة تُظله، قال تعالى: {وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ}137.

. اجتباؤه وجعله من الصَّالحين، قال تعالى: {فَاجْتَبَاهُ ربّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}138.

. إيمان قومه جميعًا دون استثناء لواحد منهم مصداقًا لقوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ}139.

ولأنَّ الابتلاء لا يكون إلّا مع الأنبياء والمرسلين والصّالحين وأهل الخير الكرام؛ ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم، فإنَّ ابتلاء موسى وقومه جاء به إلى فرعون الطاغية فصبر وصمد وقاوم وانتصر، قال تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ

---

135 الصافات 143 . 145.

136 القلم 49.

137 الصافات 146.

138 القلم 50.

139 الصافات 147، 148.

يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ}140.

كذلك موسى صلّى الله عليه وسلّم قد ابتلي بقومه الذين تخلّوا عند الحاجة إلى دخولهم بيت المقدس وهم يستهزئون {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}141.

وعليه فالمبتلون هم الذين اختصَّهم الله بمزيدٍ من التقوى، ومخافته، واتباع أمره في الكبيرة والصَّغيرة؛ ولهذا تكون عاقبة الابتلاء فوزًا ورحمة للمرسلين؛ فسلام على المرسلين.

وكما سبق أنْ بينّا مع الأنبياء الكرام الذين سبق ذكرهم صلوات الله وسلامه عليهم بأنَّ الابتلاء صفة من صفاتهم فالأمر ينطبق بالتمام على سليمان باعتباره وأحدًا منهم؛ ولذلك فالمبتلى هو الموثوق فيه والموثوق منه لأجل أن يتخذه النَّاس أسوة حسنة لهم في كلّ ما يقال أو يُفعل أو يُعمل.

والابتلاءات دروس عظيمة في الحياة لا يُلقَّاها إلا ذو حظ عظيم؛ ولذا فالعظماء من الصدّيقين والأنبياء والرُّسُل الكرام تعرَّضوا لهذه الدروس، وبَلَّغوا رسالاتهم وبَلغوا غاياتهم، وفازوا بما يأملون، فسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين.

---

140 – البقرة 49.

141– المائدة 24 . 26.

قال تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ}142، فتنة سليمان بما فُتِنَ به هي ابتلاء ترتَّب عليه نجاح وفوز لسليمان صلَّى الله عليه وسلَّم فكان من الوارثين في الدَّارين فسلام على سليمان وسلام على كلّ المرسلين.

ولأنَّ الابتلاء لا يكون إلا لصاحب رسالة؛ ليكون الاختبار بأسبابها ليس هينًا، فأصحاب الرّسالات الخالدة الذين اصطفاهم الله لم تكن الطرق مفروشة لهم بالورود، بل ممتلئة بالصِّعاب والظُّروف الشديدة فصراعهم مع كفرة ومشركين ومنافقين ينقضون العهود، ويخونون المواثيق التي يبرمونها، وفي مقابل ذلك يكون أصحاب الرّسالات صادقي الوعد والعهد ولا يُبدِّلون تبديلًا؛ ولأنَّ مُحمَّدًا رسول الله هو الرّسول الخاتم فكانت الصِّعاب في مواجهته أكثر صعوبة وشدّة، ومع ذلك لقد كان صابرًا على الأذى من أجل أن تعمّ رسالته الكافَّة طاعة لأمر الله؛ ولهذا تعرَّض لصدٍّ من المنافقين لمن أراد أن يأتي إليه ليعلم بالإسلام الذي يدعو مُحمَّد إليه برسالته الحقّة، قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرّسول رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا}143.

ولم يقتصر الأمر عند حدّ المنافقين وصدّهم النَّاس كي لا يدخلوا الدين أفواجًا، بل تعدَّاه إلى محاربّة الرّسُول من قبل الذين همّوا بإخراجه، قال تعالى: {أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا

---

142. ص 34.

143 – النساء 61.

بِإِخْرَاجِ الرّسول وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحقّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}144.

ومع أنَّ الرّسول عليه الصَّلاةُ والسَّلام بُعث للكافَّة فإنَّ البداية كانت بالأقربين، وأولئك الأقربون بعضهم هجر القرآن بالابتعاد وبعضهم هجره بالتقوُّل فيه افتراء؛ وذلك بقولهم ما ليس حقًّا، قال تعالى: {وَقَالَ الرّسول يَا ربّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا}145.

وأولئك الكفرة الفجرة هم الذين يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرّسُول، مصداقًا لقوله تعالى: {وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرّسول وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيّكَ بِهِ اللَّهُ}146.

ولأنَّ الله تعالى أمر الرّسول بأن يبشّر عشيرته الأقربين، فدعاهم إلى الهدى طاعة لله تعالى، فآمن من آمن وكفر أقربهم عائليًّا إليه ألا وهو عمُّه أبو لهب الذي نزلت فيه آية شاهدة على كفره؛ ليكون كفره وضلاله ومعصيته لرسول الله شاهدًا عليه إلى يوم القيامة، قال تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}147

ومع كلّ الشدائد التي تعرَّض لها رسول الله ابتلاءً كان صامدًا متحدّيًا بالحقّ كلّ الباطل، فنصره الله في كلِّ مرّة، قال تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي

144 – التوبة 13.

145 – الفرقان 30، 31.

146 – المجادلة 8.

147 – المسد 1.

الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}148.

ولأنَّ رسول الله عليه الصَّلاةُ والسَّلام بُعث لأمَّة أميَّة تجهل أمر ربّها ورسالته لها في الحياة فكانوا قومًا على الغلظة والشدَّة، ممّا جعل بعضهم غير متأدّبين في مخاطبة رسول الله، وهم ينادونه من وراء الحجرات مصداقًا لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}149، أي: إنَّ أكثر المنادين لك يا مُحمَّد من وراء الحجرات هم على الضلالة والسّفاهة فخذ حذرك ولا تصدّق أقاويلهم، ولن يضرّك شيء.

والنتيجة المسبقة أنَّ الذين يشاقون الرّسول من بعد ما تبيَّن لهم الهدى سيكونون حطبًا من حطب جهنَّم، قال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرّسول مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}150، ولهذا لا يحزنك يا مُحمَّد الذين يسارعون في الكفر، وهم يقولون ما لا يفعلون، ويحرّفون الكلم عن مواضعه معصية للأمر الذي يستوجب منهم الطّاعة، ولأنَّهم كفروا وأشركوا ونافقوا فلهم الخزي في الدُّنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم مصداقًا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرّسول لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ

148 – التوبة 40.

149 – الحجرات 4.

150 – النساء 115.

آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}151؛ فسلام على مُحمَّد وعلى جميع المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

151 – المائدة 41.

سلامٌ

على نبي الكافَّة سلامٌ على المرسلين

قال الله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}152.

ربّما تبدو هذه الآية الكريمة للبعض بعيدة عن الدَّليل على أنَّ ختام النبوَّة مُحمَّد صلّى الله عليه وسلّم، ولكن إذا استعرضنا معظم الآيات التي خوطب بها الأنبياء صلّى الله عليهم وسلّم، نجد أنَّ الأنبياء:

. إمَّا أن ينسب النَّبي المبعوث فيهم إليهم كما قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرّحيم}153.

. وإمّا أن ينسبوا إليه قال تعالى: {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}154.

. وقال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ}155.

---

152 – التوبة 128.

153 – البقرة 54.

154 – الأعراف 159.

155 – يونس 98.

. وإمَّا أن تكون علاقة التساوي في الأخوة، قال تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ}156.

وقال تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}157.

وحتى إنَّ إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسَّلام جاء في حقّه قوله تعالى: {وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ}158.

أمَّا في خطاب من اتّبع مُحَمَّدًا عليه الصَّلاةُ والسَّلام فكان الأمر مختلفًا تمامًا . جاءكم رسولٌ من أنفسكم . ولم يقل: جاءكم رسولٌ منكم حتى لا يقتصر الخطاب على قريش أو على قومه الذين ينتمي إليهم . من أنفسكم . فلم يكن ذلك من أجل شدّة الحساسية وعمق الصِّلة فحسب، مع أنَّها أدلُّ على نوع الوشيجة التي تربّطهم به، فهو بضعة من أنفسهم، تصلهم به صلة النّفس بالنّفس، وهذا لا يقتصر على أنفس قوم معينين؛ لذلك نجد القرينة الموضّحة (بالمؤمنين رؤوف رحيم) أخرجت المعنى من الخصوص إلى الشّمول والعموم، فمن آمن بهذا الرَّسُول، كائنًا من كان، فقد تجاوز العرق واللون، والتاريخ والجغرافيا، والزَّمان والمكان، فلا يقتصر على

156 – الأعراف 65.

157 – الأعراف 73.

158 – الأنعام 80.

قوم أو شعب أو أمَّة، وهذا يعني أنَّه نبي الكافَّة، ونبي الكافَّة، هو بالتالي النَّبي الخاتم الذي هو من أنفسهم.

ثُمّ إنَّ الله سبحانه وتعالى أخبر الأنبياء بالنَّبي الخاتم وكتابه الخاتم الذي يحمل رسالته الخاتمة للنَّاس كافَّة إذ قال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}159.

في هذه الآية الكريمة نقف على أخذ الميثاق من الأنبياء، وظاهر من سياق الآية أنَّه استثنى منهم مُحمَّدًا صلّى الله عليه وسلّم، وهذا الاستثناء دليل على:

. أنَّ الميثاق أُخذ من الله تعالى.

. أخذ الميثاق كان على الأنبياء.

. أخذ الميثاق من الأنبياء كان للنبي الخاتم.

. خروج مُحمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام من هذا الميثاق دلالة على أنَّه النَّبي الخاتم.

ثُمّ إنَّ في الآية من البراهين والقرائن ما يكفي للدَّلالة على أنَّ الرِّسالة التي يحملها هي الرِّسالة الخاتمة، لما في الآية من أوامر واجبة الطَّاعة لله في حقّ الأنبياء لمحمَّد صلّى الله عليهم وسلّم وعليهم أجمعين منها:

159 – آل عمران 81.

. الإيمان به.

. نصرته.

ثُمّ أكَّد ذلك على الأنبياء بجزئيات وتفاصيل الميثاق الذي ذكره:

. الإقرار (أأقررتم).

. العهد (وأخذتم على ذلكم إصري).

. الاعتراف (قالوا أقررنا).

. طلب الشهادة (قال فاشهدوا).

. التأكيد على الشهادة (وأنا معكم من الشاهدين).

ولو لم يكن هو النَّبي الخاتم، لأُخذت شهادته على النَّبي الخاتم.

ففرض شهادتهم للرَّسول عليه الصَّلاةُ والسَّلام أن يشهدوا أنَّ مُحمَّدًا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، خاتم الأنبياء لا نبي بعده، وكتابه خاتم الكتب لا كتاب بعده، وهو مهيمن على كلِّ كتاب، قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالحقّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}160.

مصدّق لما سلف من الكتب قبله، وأنَّ شريعته ناسخة للشرائع، قاضية عليها إلَّا ما أقرَّه كتابه ووافقه، وكتابه خاتم على الكتب وحاكم عليها، وأنَّه هو الذي بشَّر به عيسى صلّى الله عليه وسلّم، مصداقًا لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا

160 – المائدة 48.

بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}161.

وهو المذكور في التوراة والإنجيل وسائر كتب الله عزَّ وجلَّ المنزّلة على رُسُله، قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ}162.

فمن الواضح أنَّ جزءًا من الكثير الذي كانوا يخفونه من الكتاب هو معرفتهم وعلمهم بالنَّبي الخاتم الذي أُمروا أن يؤمنوا به ويصدِّقوه وينصروه.

فقد أخذ الله ميثاق النَّبيين أن يؤمنوا به وينصروه لو أدركوه، وإن لم يدركوه فقد أُخذ عليهم الميثاق بالتبليغ بالإيمان به وتصديقه ونصره، فأقرّوا بذلك وشهد الله تعالى على شهادتهم بأشياء منها:

. أنَّ الأنبياء أخذت شهادة أممهم على الإيمان به وأمرتهم بتصديقه وأخبرتهم بظهوره.

. أنَّ إيمان أهل الكتاب بكتابه مفترض عليهم مأمورون به في كتبهم وعلى ألسِنَة رُسُلهم.

. أنّ طاعته ومحبَّته فريضة واجبة على الكافَّة كطاعة الله تعالى.

. أنَّ اتباع أمره واجتناب نهيه مفترض على الأمَّة إيجابًا أوجبه الله تعالى له.

---

161 – الصف 6.

162 – المائدة 15.

. فرض افترضه على خلقه متصل بفرائضه من المتمِّمات للإيمان.

وأمّا الميثاق الذي دخل به مُحمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام مع الأنبياء والمرسلين جمعًا، فقضيَّته مختلفة عن النَّبي الخاتم والرّسالة الخاتمة إذ قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبيينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا}163.

فالله سبحانه وتعالى أخذ الميثاق على الأنبياء جميعًا، ثمّ أخبر مُحمَّدًا عليه الصَّلاةُ والسَّلام بقوله: (ومنك) كونه الرّسول الخاتم وهو المخاطب بالكلام، ثمّ أردف ذلك بنوح صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ أتبع ذلك بإبراهيم وموسى وعيسى صلّى الله عليهم وسلّم أجمعين.

فقد كان الإخبار بأنَّ الميثاق جرى على جميع الأنبياء، وأُخذ منهم دون استثناء، وأمَّا تقديم مُحمَّد صلّى الله عليه وسلّم، فهو واجب التقديم لسببين:

الأوَّل: أنَّه المخاطب بالإخبار ليخبر به.

الثاني: كونه الرَّسُول الخاتم.

وأمَّا تخصيص نوح صلّى الله عليه وسلّم، وعطفه بالواو على الضمير (منك ومن نوح)؛ لأنَّ نوحا في ذريته النبوَّة والكتاب، ومحمَّد خاتم الأنبياء والمرسلين.

163 - الأحزاب 7، 8.

ثمّ ذكر بعد ذلك إبراهيم وموسى وعيسى صلّى الله عليهم وسلّم؛ لأنَّ ذكر هؤلاء المكرَّمين يغني عن ذكر كثير من الأنبياء والرّسالات لأسباب كثيرة منها:

1 ـ أنَّ إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسَّلام هو أبو الأنبياء.

2 ـ أنَّ ملّة إبراهيم كان عليها هود وصالح وإسماعيل.

3 ـ أن موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام كان على شريعته أبناء يعقوب وداود وسليمان صلّى الله عليهم وسلّم أجمعين.

4 ـ ذكر عيسى صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنَّ رسالته تصحيح للانحراف عن شريعة موسى.

5 ـ أنَّ رسالات إبراهيم وموسى وعيسى كانت معروفة، وهناك من يدين بها.

وبالجملة فقد خصَّ الله تعالى بالذكر اربّعة من الأنبياء، هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ويمكن أن نضيف إلى تلك الأسباب أنَّ موسى وعيسى عليهما الصَّلاةُ والسَّلام، كان لهما في زمن المخاطب قوم وأمَّة فذكرهما احتجاجًا على قومهما، وإبراهيم كان العربّ يقولون بفضله، وكانوا يتبعونه في بعض الشعائر والذين كانوا يُعرفون بالموحّدين، ثُمّ إنَّ نوحًا كان أصلًا ثانيًا للنَّاس، فهو أبو البشر بعد آدم عليه الصَّلاةُ والسَّلام (وجعلنا ذريته هم الباقين) حيث وجد الخلق منه بعد الطوفان.

فالميثاق في هذه الآية التي دخل فيه النَّبي الخاتم يختلف في اختصاصه وتوجهه عن الميثاق الذي أُخذ للنبي الخاتم؛ ذلك أنَّ الميثاق هنا أُخذ عليهم أجمعين، والمراد من هذا الميثاق المأخوذ من

النَّبيين صلّى الله عليهم وسلّم، هو إرسالهم إلى البشر بما هم مأمورون به من التبليغ، لما اصطفاهم الله تعالى واختصَّهم بالنبوَّة وكلّفهم بالرّسالات وأمرهم بالتبليغ، فكان ذلك ميثاقًا من الأنبياء لله تعالى بأداء ما كُلّفوا به من تبليغ الرّسالة أمانة منهم لما أُخِذ عليهم من ميثاق.

ثُمّ إنَّ الله تعالى شدَّدَ على الأنبياء بذلك الميثاق بقوله تعالى: (وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ ميثاقًا غَلِيظًا).

والميثاق الغليظ هو سؤالهم عمَّا فعلوا فيما كُلِّفوا به وقبلوا ذلك التكليف من حمْل الرّسالة وأداء أمانتها كما قال تعالى: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ}164.

وهذا السّؤال هو التغليظ، وهو بمثابة الاستجواب لمن أُرسل إليهم، وشهادة المرسَلين المتضمِّنة لتبليغ أوامر الله في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم.

لقد أمر الله سبحانه وتعالى الرُّسُل بالتبليغ بما أُخذ عليهم من ميثاق، وأمر الأمم بالقبول والاتباع، ثم ذكرهم بعذاب الأمم التي عاندت وعصت الرُّسُل السَّابقين، وذكر أنَّ الحساب يوم القيامة دقيق وعادل، حيث يسأل كلُّ إنسان عن عمله، كلّ إنسان دون استثناء ثُمّ يُحاسب عليه:

(فلنسألنّ الذين أُرسل إليهم) يسأل النَّاس؟

. هل بلّغتم الرّسالة؟

164 - الأعراف 6.

. بماذا أجبتم المرسلين؟

(ولنسألنَّ المرسلين)

. هل بلغتم ما أُنزل إليكم من ربّكم؟

. بماذا أجابكم أقوامكم؟

إنَّ الله سبحانه وتعالى لم يأخذ المواثيق على عباده إلَّا بما فيه الحقّ والعدل والخير؛ ولذا وجب طلب الإقرار.

وميثاق الإقرار في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}165.

ما ذكره الله تعالى في هذه الآية أنَّ الله تعالى أخذ الميثاق من الأنبياء الذين آتاهم الكتاب والحكمة بأنَّهم كلَّما جاءهم رسُول مصدّق لما معهم آمنوا به ونصروه، وأخبر أنَّهم قبلوا ذلك، وحكم تعالى بأنَّ من رجع عن ذلك كان من الفاسقين، فهذا هو المقصود، وأنَّه تعالى أوجب على جميع الأنبياء الإيمان بكلِّ رسول جاء مصدّقًا لما معهم.

أمَّا من الجانب اللغوي لمفهوم هذه الآية فنقول:

قوله تعالى: (ميثاق النَّبيين) فأتى بالمصدر وأضاف إليه النَّبيين.

ومن المعلوم أنَّ المصدر أقوى في الدلالة من الاسم والفعل، ثُمّ إنَّ المصدر يجوز أن يكون مُضافه فاعلًا أو مفعولًا، فإن حُمل

165 – آل عمران 81.

المضاف على أنَّه فاعل، فإنَّ الله تعالى أخذ الميثاق من النَّبيين، وإن حُمل على أنَّه مفعول، فالمعنى أنَّ الله تعالى أخذ الميثاق للنبيين من النَّاس، ولما قام هذان الدليلان فإنَّنا نعتقد أنَّ المعنى أنَّ الله تعالى:

- أخذ من النَّبيين ميثاقهم.

- أخذ للنبيين ميثاق النَّاس.

وعلى هذا يكون المعنى الأوَّل أنَّ الله تعالى أخذ الميثاق من النَّبيين في أن يصدق بعضهم بعضًا، ويؤمن بعضهم ببعض؛ ولذا لا يخرج بقية النَّاس في التصديق بالأنبياء وما أوتوا من كتاب، وهذا ما ذهبنا إليه في شمول المعنيين.

وإن كان قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ الله ميثاق النَّبيين) يُشعر بأنَّ آخذ الميثاق هو الله تعالى، والمأخوذ منهم هم النَّبيون، وليس في الآية ذكر لقوم أو أمَّة، فلا يحسُن صرف الميثاق إلى النَّاس فنقول: من يذهب هذا المذهب فهو من باب إضافة الميثاق إلى الموثَّق عليه، وهو من باب إضافة الفعل إلى فاعله، ولا يدخل فيه بقية النَّاس، فهذا كما نعتقد مخالف شرعًا وعقلًا لما وردت فيه النصوص النقلية من الكتاب والسُّنة وهي أكثر من أن تحصى، كقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}[166].

فإن كان إضافة الفعل إلى الفاعل أقوى من إضافته إلى المفعول، فإنَّ إضافته إلى المفعول لا تكون أقل من مساواته به. ثُمّ

166 - آل عمران 187.

إنَّ المنطق العقلي أسلم له إذا ذهب في إضافته للمفعول من إضافته إلى الفاعل وذلك أنَّ:

. إضافته إلى الفاعل تقتصر على الأنبياء ولا يدخل فيهم أحد.

. إضافته إلى المفعول يُدخل النَّاس جمعًا في الميثاق.

. الأنبياء من النَّاس.

وعليه: تكون إضافته إلى المفعول أقوى من إضافته إلى الفاعل في هذا الموضع؛ ولذا فإنَّ الميثاق قد أخذ من الأنبياء في التبليغ ومن النَّاس في التلقي.

وعليه: فقد وجب على كل أمَّة جاءها رسول أن تؤمن بالنَّبي الخاتم؛ لأنَّها أخبرت به عن طريق نبيّها الذي أعطى الله تعالى الميثاق على ذلك، وصدق الله تعالى إذ يقول: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرّسول النَّبِي الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النّور الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[167].

وعلى هذا فإنَّهم يعلمون أنَّه النَّبي الخاتم؛ وذلك أنَّه:

. يجدونه مكتوبًا عندهم.

. في التوراة والإنجيل.

. يأمرهم بالمعروف.

---

167 - الأعراف 157.

. ينهاهم عن المنكر.

. يحلّ لهم الطَّيّبات.

. يحرم عليهم الخبائث.

. يضع عنهم الإصر والأغلال.

وهذا يعني أنَّ جميع الأنبياء تعلمون من هو النَّبي الخاتم، وأنَّ أقوامهم علمت ذلك من أنبيائهم ومن الرِّسالات التي جاؤوا بها، فأعلموهم بالميثاق المأخوذ عليهم بالتبليغ والإقرار، ولا ينكر ذلك إلا فاسق.

فكان الإقرار بالنَّبي الخاتم من الأنبياء، وأخذوا على ذلك إصر الله وعهده، ثُمّ شهدوا وشهد الله على شهادتهم، ثُم أخبر بحال من تولى عمّا أمر به المولى عزّ وجلّ بقوله تعالى: {فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}168.

فقد أخذ الله سبحانه وتعالى موثقًا عظيمًا جليلًا كان هو شاهده وأشهد عليه رسله؛ فهو موثق على كلِّ رسول، أنَّه مهما آتاه من كتاب وحكمة، ثم جاء رسول بعده مصدِّق لما معه أن يؤمن به وينصره ويتّبع دينه، وجعل هذا عهدًا بينه وبين رسله جمعًا، نصرة منه تعالى، ونصرة من أنبيائه للنَّبي الخاتم.

والآية الكريمة تطوي الأزمنة، وتتجاوز الأمكنة، حتى كأن الخطاب في الزَّمن الصّفر والمكان الصّفر، على الرُّغم من تراخي الزَّمان وترامي المكان بين الأنبياء المتتابعة؛ لأنَّ الخطاب يجمعهم في

168 - آل عمران 82.

مشهد، فيه استفهام تقريري: (أأقررتم، قالوا أقررنا، قال فاشهدوا)؛ لذلك نرى رسم الصّورة في التعبير القرآني يظهر جلال الموقف في الحضرة الإلهية، والأنبياء مجتمعون لحظة الخطاب لأخذ الميثاق للنبي الخاتم.

هذا المشهد الجليل الذي يرسمه التعبير القرآني، وهو يتمثل بحضرة البارئ عزَّ وجلَّ والرُّسُل مجتمعون، دليل على أنَّ الرّسالة واحدة من إله واحد غايتها واحدة.

وفي ظل هذه الصّورة يبدو الموقف الذي تتجسَّد فيه الغاية متصلًا متساندًا، ومستسلمًا للتوجيه الإلهي، الذي تتمثل فيه الحقيقة الواحدة التي شاء الله سبحانه وتعالى أن تقوم عليها الحياة البشرية، دون انحراف أو تعارض أو تصادم، لما سنّه الخالق لخلقه.

ويبقى الاصطفاء والاختيار والإخبار من الله تعالى لأنبيائه ورسله، مجسِّدًا حقيقة الرّسالة بالنَّبي الفاتح والنَّبي الخاتم من أنبياء الله تعالى.

ثُمّ إنَّ هناك قضية مهمَّة لا نغفل عنها تراود أذهان كثير من النَّاس، وهي كيف يؤمن السَّابق باللاحقّ؟

إنَّ هذه القضية تحمل في ثناياها جوانب كثيرة، منها:

1 ـ العلم:

ـ إنَّ علم الأنبياء هو من علم الله تعالى، وقد أعلمهم الله بما هم أهله من العلم، يبلّغون جزءًا منه وهذا هو التكليف.

. وعلم آخر لا يعني بقية البشر في تعلّمه وتعليمه والأخذ به، ممّا اختصَّ الله تعالى إمّا تعليمه للأنبياء والرّسُل أو أجراه على أيديهم مثل:

اليقين: قال تعالى: {وَاعْبُدْ ربّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}169.

الاطمئنان: قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ربّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَربّعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}170.

المعجزات: كما قال عيسى ابن مريم: {أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن ربّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}171.

2. وحدة الرّسالة ومصدرها:

إنَّ الله سبحانه وتعالى عندما أخذ الميثاق من الأنبياء للنبي الخاتم دلَّ بذلك على أنَّ الرّسالة واحدة على اختلاف المبلّغين زمانًا ومكانًا، وأنَّ رسالة النَّبي الخاتم لا تختلف في جوهرها وحقيقتها عن رسالة النَّبي الفاتح وما انحصر بينهما من أنبياء ورسالات؛ ولذا أخبر الله تعالى أنبياءه بوجوب الإيمان بها قبل أوانها.

---

169 - الحجر 99.

170 - البقرة 260.

171 - آل عمران 49.

إنَّ الاصطفاء والاختيار من الله تعالى لبعض عباده في تبليغ رسالته، مناطه أنَّ النبوَّة خالصة عن الدنيا وما فيها، وخالصة للآخرة؛ ولذا فإنَّ الله تعالى يختصّ من المصطفين الفاتح والخاتم ومن يحمل ذرية النبوّة، ويختار التسلسل بمشيئته لرسالته؛ ثم يسلّمها إلى مختار بعده، ويسلّم نفسه معها لأخيه اللاحق به. فما للنبي في نفسه من شيء؛ وما له في هذه المهمّة من أرَبٍ شخصي، ولا مجد ذاتي، إنَّما هو عبد مصطفى، ومبلّغ مختار.

3 . التبليغ:

ولما أخذ الله تعالى الميثاق من الأنبياء للنبي الخاتم، وجب عليهم تبليغ الأمم التي بعثوا فيها بهذا الميثاق من الإيمان به وتصديقه ونصره، ومن لم يفعل فقد نقض الميثاق الذي أخذه عليه الله تعالى فخرم بذلك إيمانه؛ ذلك أنَّ الإيمان بالنَّبي الخاتم جزءٌ من رسالة الأنبياء الفواتح والتوالي التي جاءت بحقيقة واحدة تدعو إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورُسُله واليوم الآخر.

وبهذا فقد وجب إيمان السَّابقين بالنَّبي الخاتم بناء على ما أُبلغوا به ممن أُخذ منهم الميثاق على الإيمان والتبليغ، قال تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيونَ مِن رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}172.

172 - البقرة 136.

وكما أبلغت الأمَّة الخاتمة بوجوب الإيمان بالأنبياء والرِّسالات التي قبلها، فقد وجب إيمان السَّابقين على النَّبي الخاتم أن يؤمنوا به بما بيّنه لهم أنبياؤهم ورُسُلهم بما كانوا واثقوا الله عليه.

وفي ظل هذه الحقيقة يبدو الذين يتخلّفون من أهل الكتاب وغيرهم عن الإيمان بالرّسول الخاتم صلّى الله عليه وسلّم، ومناصرته وتأييده، تمسُّكًا بدياناتهم، لا بحقيقتها، فحقيقتها تدعوهم إلى الإيمان به ونصرته، ولكن باسمها تعصبًا لأنفسهم في صورة التعصُّب لها لا بحقيقة الإيمان! مع أنَّ رُسُلهم الذين حملوا إليهم هذه الرِّسالات قد قطعوا على أنفسهم عهدًا ثقيلًا غليظًا مع ربِّهِم في مشهد جليل، والذين يتجاهلون حقيقة الإيمان بالنَّبي الخاتم ونصرته وتصديقه، إنَّما يكونون قد نقضوا الميثاق الذي أخذه الله تعالى على الأنبياء الذين بدورهم قد بلّغوا من أرسلوا إليهم بما كانوا واثقوا الله عليه.

سلام على المرسلين واحديَّةٌ:

كلُّ الرُّسُل عليهم السَّلام نُبِّئوا بواحديَّة الله، وأُنبئوا بأسرارٍ منه، وكلِّفوا للدّعوة موحّدين ومبشّرين ومنذرين ومحرِّضين، وجميعهم أتموا ما أرسلوا به بالرّغم من الصِّعاب والشدائد التي واجهتهم (فسلام على المرسلين).

ولهذا فسلام الله على المرسلين تحمل في مفهومها الجزاء الأوفى (الفوز بالجنَّة الواسعة)، أمَّا من المؤمنين فسلام على المرسلين تعني: المباركة والتمجيد والتسليم بالأنبياء وما أنزل عليهم، وما فعلوه بغاية

واحديَّة الله، والدَّعوة لإحقاق الحقّ والعدل وفقًا لمشيئته تعالى؛ وذلك بغاية صبغ الأرض (صنع الله) بصفة الواحدية.

والواحديَّةُ: صفة من الصِّفات المتعدِّدة للواحد الذي لا يتعدَّد (الله تعالى)، وفي مضمون كلمة الواحديَّة احتواء القوّة، ولا مقارنة لانعدام الشبيه والمثيل والهيئة والصُّورة، وهي لا تنسب إلّا للواحد المتفرّد بالأمر المطلق، وفعلها واحدي: (كُن)، ولا جهد يبذل سوى الأمر إصدارًا، ومصدر الواحدية الواحد الأحد.

وهي القوّة المطلقة التي يُرضخ لها طوعًا أو كرهًا وفقًا للمشيئة القاهرة، إنَّها المفروضة التي لا بدَّ أن تكون فكانت، والأخذ بها لا يكون إلّا عن إرادة، إذ لا إكراه في الدّين؛ فهي في الوقت الذي لا تكون فيه للرأي، خاضعة للإيمان بها، وهي المعجزة التي لم يكن الإيمان بها معجزًا، وهي كما تعود صفة إلى الواحد الأحد، تعود إليه أفعالًا متفرّدة، أي: صفة الواحد وأفعاله، كما هو حال صفتي الرّحمن والرّحيم، فالرَّحمن مصدر الرّحمة، والرّحيم فاعلها (محقّق أفعالها مشيئة) والواحد الأحد المتفرّد بها.

ومن ثمَّ فالواحديّة ليست الوحدانية؛ لأنَّ الوحدانيّة صفة النقص، أمَّا الواحديّة فصفة الكمال، وللتوضيح وجب إظهار مفاهيم كلّ من: (الواحديّة، الأَحَدِيَّة، والأُحاديّة).

الواحديَّة: صفة اسميّة وفعلية للواحد الأحد، تحتوي كلّ الصّفات الحسنى التي لا تكون إلّا بيد الواحد القهَّار، بمعنى: كلّ ما يفوق القدرة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع لا يكون إلَّا بيد الواحد المتصرّف في الأمر كيفما يشاء ومتى ما يشاء؛ فالواحديَّة

ليست مذهبًا، ولا رؤيةً، ولا نظريّةً، ولا فرقة، إنَّها صفة الواحد وأفعاله المستحيلة والمعجزة.

أمَّا الأَحَديَّة: فهي صفة للمتفرِّد بالأمر المطلق، وهو الأَحَدُ الذي لا يستأذن في أمره من أحدٍ، ولا أحد غيره، والأَحَدُ لا يتكرر ولا يتعدّد وليس له شبيه، ممَّا يجعل الأَحَديَّة صفة اخصَّ الله بها نفسه، ولا يمكن أن يتَّصف بها غيره، وهي التي إنْ وُصِفَ بها مخلوقٌ نَكَّرتهُ (جعلته نكرة) كقولك: قال لي أحدٌ: إنَّ الحرَّية تُنتزع انتزاعًا، فمن يكون يا ترى هذا الأحد؟

إنَّه لا يكون إلَّا نكرة.

وعليه:

الأَحَديَّة صفة لا تكون إلَّا لله. وهي الصّفة القطعية المطلقة؛ إذ لا شكَّ في أَحَاديَّة الله، ولا شكَّ في تنوُّع غيره، وهذه رسالة الأنبياء التي أتموها كما أمروا فسلام على المرسلين.

أمَّا الوحدانية: فهي الانعزال عن الغير والبقاء وحيدًا، ما يجعل الوحيد في حاجة لمن يُؤنِسُهُ في غربته أو وِحدته، وهذه الوحدانية لا تكون إلّا مع المخلوق.

إنَّها الوحدانية المؤلمة، والوحداني في حاجة لراعٍ أو لعائلٍ أو معينٍ، وفعلها وعملها وسلوكها في دائرة النسبيَّة المتوقَّعة وغير المتوقَّعة لا يكون إلَّا بجهدٍ يُبذل، أي: جهد يترتَّب عليه إنتاجٌ، وتعبٌ، وطاقة تُفقد؛ لذلك فالوحدانية تُقرّر وتُسلك من قبل من ارتأى أن ينعزل عن الغير؛ ليبقى وحيدًا في الوقت الذي يكون فيه في حاجة للغير إن أراد بقاءً.

إذن:

الواحديَّة: صفة اسمية على الخصوص، وصفة فعلها واحدي، وفاعلها الواحد؛ إذ لا مجال للعدد.

أمَّا الأَحَديَّةُ فهي: صفة اسمية على الاختصاص، وصفة فعلها أَحَديٌّ، وفاعلها أَحَدٌ؛ إذ لا مجال للتعدّد.

وفي المقابل، فإنَّ الوحدانية صفة اسميَّة على الخاصِّية (صفة الممتنع عن المشاركة وهو في حاجة إليها)، وصفة فعلها أحادي، وفاعلها أُحَاد، ومن هنا تتوالَّد الأعداد (تشتتًا ونزوعًا).

ولأنَّ الواحدية صفة للواحد جلّ جلاله، والأَحديَّة صفة للأحَد عزَّ وجلَّ فإنَّ المؤمنين بالواحد الأحد موحِّدون وليسوا توحيديين؛ لأنَّ الموحِّدين هم المؤمنون بالله واحدا أحدا، أي: يؤمنون بدين واحد من ربٍّ واحد، وهذه ملّة إبراهيم وكلّ الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام.

ولهذا فالأنبياء موحِّدون (موحِّدون الله وداعون لواحديَّته) وليس لوحدانيته، ولا لتوحيده، لأنَّ التوحيد لا يكون إلّا للمتفرّق الذي في حاجة للجمع وهذا يتنافى مع واحديّة الله (الواحد الأحد الذي لا يتعدَّد). أي: إنَّ التوحيد لا يكون إلّا للمتشتت والمتفرّق والمنقسم، وهنا أقول: إنَّ بعض ما تعارفنا عليه اصطلاحًا فيه من المعاني ما يخالف المفهوم.

وعليه: فالتوحيد جهد يبذل من أجل جمع المتفرّق ووضعه في سلّة واحدة، ومع أنَّ التوحيد جهدٌ يبذل فإنَّه هدف، أي: إنَّه هدف الرَّاغب في توحيد المتفرّق، ولأنَّه جهدٌ وهدفٌ فهو من

أعمال المخلوق وأغراضه وغاياته ومأمولاته وليس عمل الله وإنْ كان في مرضاته.

وهذه لم تكن من مهام الأنبياء عليهم السَّلام؛ لأنَّ مهمَّة الأنبياء توحيد المتفرقين على الواحد الذي لا يتفرّق.

ولهذا جاءت الملّة الواحديَّة من واحديَّة الله وليس لتوحيده، فالله واحد أحدٌ ولا شريك له فلم يكن متعددًا ولا متفرّقًا ليقال: (لتوحيده)، مع العلم قال البعض: جاء دين التوحيد ليوحِّد الآلهة (الأرباب المتعدِّدة) في إله واحد (ربّ واحد) في الوقت الذي قال فيه الله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ}[173]، أي: يستغربون، ويتعجَّبون، ويأبون الانقياد إليه، ومع أنَّه لا حُجَّة لهم ولا برهان في دحض قوله تعالى: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فإنَّهم لا يرون الآلهة إلّا متعدِّدة ووفقًا للرَّغبة الخاصَّة، فهم مستكبرون على الحقِّ.

ومع أنَّ الآلهة من دون الله نتاج الرّغبة الخاصّة، فإنَّ البعض قبل بتوحيد مجموعة من الآلهة في إله واحد؛ ولهذا أقول:

لم تأتِ الملَّة، وتُبعث الرُّسُل لتوحيد الآلهة، بل لواحديّة الله، أي: جاءت الملَّة مبشّرة بواحدية الخالق، وواحدية الدين (واحديَّة المعبود والعبادة) فلو أسلم الجميع وجوههم لعبادة الله الواحد الأحد لكانوا على الوحدة الإلهية موحَّدين، أي: موحَّدين بوحدة المعبود والعبادة، ومن ثمّ فهم ليسوا في حاجة لمن يوحِّدهم.

وعليه:

---

[173] الصَّافات 35.

دين الواحدية رسالته: (لا إله إلَّا الله)، وهذا يعني: إنْ لم يؤخذ بواحدية الله فلا شيء إلَّا الفُرقة (نتاج تعدُّد الآلهة أربابًا من دون الله) قال تعالى: {يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[174].

ولهذا فالحنيفيَّة ملّة واحديّة، الله واحد، والدّين (الإسلام) واحد، فالحنيفية نسبة إلى دين إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام توحيد لله تعالى ولا شريك؛ ولهذا من ينسب إلى حنيفة إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام يسمى حنيفيًّا وليس حنفيًّا كما قال البعض، ومن ثمّ فديانة سيدنا إبراهيم هي: الحنيفية، وليس الحنفية. فالحنفي من له علاقة بالحنَفِيَّة وليست له علاقة بالحنيفيَّة؛ ولذلك فالحنفيَّة تدلُّ على المحسوس ولا تدلُّ على المفهوم المجرَّد الذي يدرك وعيًا، فالواحدية اعتراف بالحقيقة أنَّ الخالق واحد، ولا شريك له، بيده الأمر وهو على كلِّ شيء قدير، ولا حول ولا قوَّة إلَّا به، وهذا ما جاء الرُّسُل به وعملوا عليه حتى تحقّق على أيديهم؛ فسلام على المرسلين.

ومن ثمَّ تعد الحرّيَّة معطية من معطيات الواحدية؛ إذ الكلّ في حاجة إليها كونها امتدادًا منحه الخالق إلى الإنسان حتى النهاية التي تَمنح للغير امتدادًا حتى الوصول إليها، ولا إكراه، قال تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[175]،

---

[174] يوسف 39.

[175] الكهف 29.

وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[176].

وكذلك يعد العدل صفة الواحد وهو القول الحقّ الذي احتوته الواحديَّة من حيث إنَّه لا ازدواجية في العدل، فالرّبُّ واحد، والعدل واحد، والحريَّة واحدة، ومن هنا جاءت الواحدية أمرًا ونهيًا وتجنّبًا.

وهكذا المساواة قيمة واحديَّة خُلق الخلق عليها ولا تفضيل من حيث الخلق، الكلّ من نفس واحدة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}[177]، أي: لا داعي لتباهي البعض على البعضِ، والجميع خلقوا من نفسٍ واحدة، الكلّ من تراب، ومن نفس الطينة اللازبة، والكلّ يختلف عن الكلّ تنوّعًا؛ ممّا جعل الكلّ في حاجة للكلِّ: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}[178]، ولأنَّ الاثنين متساويان خلقًا من نفسٍ واحدة، فهما متساويان في الاختلاف أيضًا أي: الدَّرجة التي تختلف بها الأنثى عن الذَّكر يختلف الذَّكر بها عن الأنثى؛ ولأنّه اختلاف الواحدية فلا يزول إلى النهاية: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[179]، ومن ثمّ فالاختلاف مساواة (واحديّة) فمثل ما للذَّكر من رغبات هي بالتمام للأنثى، وكما الذَّكر يغضب ويفرح الأنثى بالتمام تغضب وتفرح، ومثلما يتألم تتألّم، ومثلما

---

[176] يونس 99.

[177] النساء 1.

[178] آل عمران 36.

[179] هود 118، 119.

تعطش وتجوع يعطش ويجوع، وهكذا إلى النهاية المساواة واحديّة تنوُّعًا واختلافًا.

إذن: الاختلاف خلقًا مساواة لا انحياز فيها، وهكذا جاءت المساواة من حيث ممارسة الحرّيَّة: الحقوق تمارس، الواجبات تؤدَّى، المسؤوليات تُحْمَل[180]. ولأنَّ الواحدية مساواة قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[181].

سلام على المرسلين إعجازًا:

الإعجاز: فعل تحدٍّ يتمّ الإظهار عليه، ولا يمكن فعله، أي: يمكن أنْ يُبيَّن لك المعجز وجودًا، ولكنَّك لا تستطيع فعله؛ ولهذا فالإعجاز فعل الخالق مثله مثل المستحيل، غير أنَّ المستحيل: خَلقُ الشيء من لا شيء وجودًا، أمّا الإعجاز فهو فعل ظاهر من شيء ظاهر، وهذه من واحدية الخَلق. ولا يكون إلَّا من الواحد القهَّار، أي: إنَّ الواحديّة لا تكون إلّا إعجازًا؛ إذ لا إمكانية للإتيان بمثلها، فهي المعجز تنزيلًا، أمَّا غير المعجز فهي تفهم ويتمّ استيعابها؛ ولهذا فالإعجاز واحد، ولا يتعدّد وإن تعدّدت المعجزات، ولا يكون المعجز إلَّا على أيدي الأنبياء والرُّسُل الكرام عليهم الصّلاة والسَّلام الذين اصطفاهم الواحد واحدًا من بعد واحد فكانوا مستخلفين في الأرض خير خلق؛ فسلام على المرسلين.

---

[180] عقيل حسين عقيل، الواحديّة من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018، ص 7 . 12.

[181] النحل 97.

ولهذا فالإعجاز فعل ما لم يستطع الإنسان فعله، أمَّا المعجز فهو الذي يكون بين يديك ولا تستطيع فعل شيء مثله، مثل: الرّسالات الواحديَّة بين اليدين، ولا أحدَ يستطيع أن يأتي بمثلها، قال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}[182]؛ وهكذا المعجز مثل: الأرض التي خلقت الأزواج منها، فهي أرضنا عيشًا، ولكنَّنا لا نستطيع خلق أزواج غير الأزواج التي خلقت منها.

وإذا سلّمنا أنَّ الانفجار العظيم من تلك الذّرة التي تحدّث عنها الفيزيائيون وهم من حولها مختلفون فلا بدّ أن نسلّم بخلق الذّرة، ونشوء الانفجار منها، وإذا سلّمنا بخلق اللاشيء فلا بدّ أن نسلّم بنشوء الشيء منه إعجازًا، وإذا سلّمنا بخلق الأرض فلا بدّ أن نسلّم بنشوئنا منها إعجازًا، وإلَّا هل يمكن لنا أن نخلق منها ما هو معجز؟ قال جلَّ جلاله: {هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ}[183]، وقال تعالى: {وَاللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا}[184].

ولهذا؛ فإعجاز النّشوء لم يكن خَلق البذرة، ولا حتّى زرعها، بل ضرب جذورها في الأرض ونموّها؛ لتكون وجودًا مشاهدًا بداية ونهاية، ونشوء النبتة إعجازًا يمرّ بمراحل نموّ من بذرة تُبذر إلى بذرة تُجنى، {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ}[185].

---

[182] الإسراء 88.

[183] هود 61.

[184] نوح 17، 18.

[185] الأنبياء 104.

أمّا كيف وُجدت البذرة الأولى فلا أحد يعلم، ولا أحد يدّعي إيجادها، بل نبتت من الأرض مثلما نبت الإنسان منها، غير أنَّ النبتة جذورها ضاربة في الأرض، أمّا الإنسان فقدماه ثابتتان على ظهرها وفقًا لقانون الجاذبية، قال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا}[186].

فالبذرة لا أحد يظنّ أنّها الخالقة لنفسها كما ظنّ البعض بخلق الكون نفسه من لا شيء، ولكن من يسلّم أنَّ البذرة لم تَخلق نفسها فعليه بتصحيح تلك المعلومة الخاطئة التي كُتبت عن خلق الكون من غير خالق بمعلومة صائبة تؤكّد: (وراء كلّ مخلوق خالق).

فالنّشوء الخلقي إعجازًا نشوء تكاثر، وهو خلق الشيء من الشيء؛ فالخلق البشري الذي نشأ من آدم وزوجه أصبح كمًّا بشريًّا هائلًا يزيد تعداده على سبعة مليارات من البشر، أمّا تضاعف البذرة النباتية، فلا يحصى بيسرٍ؛ مصداقًا لقوله تعالى: {كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ}[187].

ولأنَّ النّشوء تكاثر؛ فالإنسان الأوّل (الزّوجان) أصبح بعد نشوئه كمًّا هائلًا: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَذْكُورًا}[188]. أي: ألا يتذكّر الإنسان أنَّه قبل أن يُخلق كان لا شيء، ثمَّ خُلق؛ فأصبح شيئًا من زوجين، ثمّ تزاوج فتكاثر؟ ألا يكفي هذا دليلًا على وجود خالق لكلِّ شيء؟

---

[186] نوح 19، 20.

[187] البقرة 261.

[188] الإنسان 1.

وعليه: فالنّشوء إعجازًا مؤسّس على خلق الحياة، ثمّ نشوء الأحياء، أي: لو لم تُخلق الحياة ما خُلق الأحياء، ولذلك؛ فكلّ من تُكتب له الحياة يُخلق على الهيئة التي تميّزه جنسًا ونوعًا، ومن ثمّ ينشأ كلّ مخلوقٍ وفقًا لسلالته التي لا يمكنه الخروج عنها؛ فآدم وزوجه كونهما المخلوقين من تراب فسلالتهما من طين، أمّا بنوهما فسلالتهم من نطفة: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ}[189]؛ ولذلك فمن أين جاءت الصّلة بالقرود، التي قال عنها بعض الفيزيائيون؛ أي: من أين جاءت وأصل النشوء إعجازًا (آدم وزوجه) ثمّ أبناؤهما (بشرًا سويًّا)؛ فلا إمكانية لعلاقة سلالية بين البشر والقرود.

فالنّشوء إعجازًا لا يكون إلّا من شيءٍ، فلو لم تكن الأرض ما كان نشوؤنا منها، ولو لم يكن اللاشيء ما كانت الأرض شيئًا منه، ولو لم يكن الانفتاق العظيم ما كان اللا شيء شيئًا، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}[190]. وحتى تلك الذَّرة لو سلَّمنا بوجودها لو لم تكن ما كان ذلك الانفجار الذي يدّعونه: (الانفجار العظيم)، ولو لم يكن الخالق ما خُلق شيء: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[191]؛ ولهذا أرسل الله الرُّسُل والرِّسالات تتنزَّل عليهم ليبيّنوا من هو الخالق؟ وما هو المستحيل؟ وما هو

---

[189] السجدة 8.

[190] الأنبياء 30.

[191] المائدة 17.

المعجز؟ ومن هو جامع النَّاس؟ ومن هم المفرّقون؟ فسلام على المرسلين.

ومع أنَّ الله خلق كلّ شيء وهو الخلّاق لما يشاء متى ما يشاء، وكيفما يشاء، وأينما يشاء، فإنَّ البشر لا يعلمون كلّ ما خُلق؛ فهناك ما يعلمونه خبرًا، وهناك ما يأخذونه أمرًا ونهيًا، وهناك ما يدركونه عقلًا، وهناك ما يرونه مشاهدةً، وهناك غير ذلك مما لا نعلم: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[192]؛ ولهذا فالبشر كما يسلِّمون يقينًا بما يعلمونه يسلِّمون يقينًا بما يجهلونه؛ فعلى سبيل المثال: المؤمنون يعلمون بالسّاعة، ولكنّهم يجهلون ساعتها، ويعلمون بالنّعيم ويجهلون نعمه، ويعلمون أنّ السّماوات والأرض كانتا رتقًا ويجهلون كيفية فتقهما.

ومع أنَّهم لم يكونوا شهودًا لحدوث الانفجار العظيم الذي تحدث الفيزيائيون عنه ونحن عنه تحدثنا في مؤلّفنا: (من معجزات الكون) انفتاقًا عظيمًا فإنَّهم واثقون من حدوثه: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}[193]، أي: إنَّه الحقّ في ذاته ولا شكَّ، قال تعالى: {كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ}[194]، إنَّه العلم البيّن الذي أُبلغ عنه ولم يتحقّق بعد، وهو سيتحقّق لا محالة، {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}[195]؛ إذ لا شكّ أنّ المستقبل آتٍ وسترون بأمهات عيونكم كلَّ ما

---

[192] الاسراء 85.

[193] الواقعة 95.

[194] التكاثر 5.

[195] التكاثر 7.

أُعلمتم به قبل أن تروه؛ وهكذا ستعلمون الحقائق، سواءً أكانت معلومةً أم مجهولةً.

ولأنَّ الخالق خلق الشّيء واللاشيء؛ فخلق السّماوات والأرض أشياء، وخلق ما بينها اللاشيء: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)؛ فما بينهما: هو ذلك الفراغ المملوء أشياء متناهية في الصّغر، وبتناهي صغرها توصف لاشيء.

ومع أنَّ الخلق والنّشوء إعجازًا من مشيئة الخالق فإنَّ الخلق سابق على النّشوء ولا شيء قبله، أمّا المعجز نشوءًا فلا يكون إلَّا من شيء مخلوقٍ، فينشأ منه خلقٌ آخر، مثل: خلقُ الإنسان من الأرض، وكأنَّه لم يكن منها، وهكذا حال الأزواج المخلوقة إنشاءً مصداقًا لقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ}[196].

ومع أنَّ المعجز نشوءًا مترتّب وجودًا على ما خلق، فإنَّه لا يكون إلّا وفقًا للمشيئة التي دائمًا سابقة على الشيء، أي: لا شيء ينشأ ويُخلق إعجازًا إلّا من مشيئة الخالق.

ومشيئة المشيء إرادة خَلقية، خَلقت تلك الذّرة، وفجّرتها خلقًا آخر: {وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[197].

ولذلك؛ فَخَلق الشيء من الشيء وجَعله على الهيئة والصّفة يعد نشوءًا من مشيئة الخالق.

---

[196] يس 36.

[197] البقرة 117.

والنّشوء تكوين بنائي يُخلق على الهيئة والصّورة بغاية وظيفية؛ فالأرض التي خُلقت بناءً مكوّرًا، هُيّئت لوظيفة الإنبات والتكاثر والنّشوء والارتقاء: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ}[198].

فالإنبات في الأرض إضافة خلائق، ونشوء حياة، ولفت انتباه إلى ما يشبع الحاجات المتنوّعة والمتطوّرة بغاية بقاء الحياة إلى النّهاية دون حاجة.

فالنّشوء إعجازًا لا يكون إلّا من شيء، أمَّا الخَلق فليس بالضرورة، أي: إنَّ الخلق الأوّل لم يسبقهُ خلقٌ (خلق من لا وجود)، أمَّا الخلقُ المترتّب عليه فهو النّشوء المعجز (نشوء الشيء من الشيء)؛ ولذلك فالنّشوء يتعدّد من الخلق الواحد أجناسًا وأنواعًا؛ فذلك الكون المرتق خلقًا أصبح أكوانًا منشأة انفتاقًا، وهكذا الأرض التي خُلقت خلقًا مرتقًا؛ فقد كان النّشوء منها متنوّعًا ومتعدّدًا (زوجين) من كلِّ شيء.

وبما أنَّ المخلوق قبل أن يُخلق لم يكن شيئًا (لا وجودًا) إذن: فمن الذي جعله شيئًا؟ وهل يمكن الحديث عن شيء لو لم يكن موجودًا؟ وبما أنَّه موجود، إذن؛ فمن الذي جعله شيئًا؟

أي: لو لم يكن الشيء موجودًا فهل يمكن أن يقال عنه قد خَلق نفسه من لا شيء؟ ولماذا لا يرتقي التفكير العقلي إلى معرفة من خلقه شيئًا (وجودًا)؟، ولماذا خلقه شيئًا؟ بمعنى: لماذا لا يرتقي التفكير من المخلوق المشاهد إلى معرفة الخالق الذي لا يشاهد؟

---

[198] الشعراء 7.

ولذلك؛ فالعقل المتأمّل في الوجود الخلقي يدرك أنَّ وراء كلّ شيء مشيئًا له؛ فلو لم يشأهُ ما كان شيئًا، وبما أنَّه أصبح شيئًا فهو لم يكن إلّا وفق مشيئة، وهذه تستوجب: مقدرة خلقية، وخالقًا يهيئ المخلوق للخلق قبل أن يخلقه، ومن ثمّ فلا شيء إلَّا من مشيء: {إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا}[199].

ولأنَّ خلق الشيء من الشيءٍ يعدّ نشوءًا معجزًا، إذن: فلا نشوء إلَّا والحياة تملؤه، فالأرض لو لم تكن على الحياة ما كان ترابها صالحًا لخلق الإنسان، وإنباته مثل النبات نباتًا. إنَّه النّبات الذي من بعده لا تخلق الكائنات من الكائنات إلّا تزاوجًا. أمَّا نشوء الأكوان فلم يكن إلَّا انفتاقًا.

وعليه:

فالمعجز نشوءًا الذي بيّنته الرِّسالات الواحديَّة وجاء به الرُّسُل الكرام عليهم السَّلام هو خَلقٌ من خَلقٍ، وإنبات من نبتٍ، ومُعجز قابل للنمو؛ فالخَلق كونه غير مسبوق هو الفعل المستحيل الذي لا يتحقّق إلّا أمرًا؛ ولذلك فالخَلق فعل يسبق المخلوق تحقّقًا كما هو خلق الكون شيئًا من لا شيء يذكر، أمّا النّشوء: فهو الخلق ممّا خُلق إعجازًا، كما هو خلق الأزواج من الأرض، ومن الأنفس، وممّا لا نعلم مصداقًا لقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ}[200].

أمَّا النّمو في ذاته فلا يكون نموًّا إلَّا في ذات غيره نشوءًا؛ إذ لا وجود للنّمو من غير شيء ينمو، فهو عملية ازدياد، كما هو

---

[199] الأنعام 80.

[200] يس 36.

ازدياد حجم الكون تمدّدًا وسرعة، وكما هو ازدياد حجم الخلايا نموًّا وضخامةً، وكما هو نمو (نشوء) النبتة من بذرةٍ إلى شجرةٍ.

ولذا؛ فكلّ شيء مؤسّس على الإعجاز ينمو إلى النّهاية (نهاية المكان أو الزّمان) الخاصّين بمن ينمو إعجازًا (نضجًا وعمرًا)، وهذا الأمر ينبغي أن يُلفِتَ نظر الإنسان إلى نفسه كي ينمو قولًا وعملًا وإرادةً وسلوكًا، أي: يجب أن ينمو تذكّرًا حتى يبلغ بداية الخلق وسرّ وجوده مستحيلًا وإعجازًا بهدف استجماع القوّة من التّاريخ المملوء بالمستحيلات والمعجزات، والتجارب، والقصص، والمواعظ والعبر التي تمكّنه عن تدبّرٍ من إنشاء شيء جديد يفوق ذلك الماضي ارتقاءً، ومع ذلك فلا يقف عنده غاية؛ فالغاية بالنّسبة لمن تدبَّر أمره في حاضره ارتقاءً، هي: بلوغ ما هو أعظم منه ارتقاءً؛ ولهذا فعليه أن يفكّر فيما هو أعظم، وعليه أن يعرف أنّ بلوغه ممكن فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، مهما عمل من الأعمال الحِسان فهو يعلم أنّه بالإمكان بلوغ ما هو أحسن منها؛ ولهذا فلا ينبغي أن يتوقّف نموّا، بل عليه أن يعمل والأمل لا يفارقه، وعليه أنْ يعرف أنّ العمل ارتقاءً وحده يطوي الهوة بين الأمل وصاحبه والحاجة المتطوّرة ومشبعاتها المتنوّعة.

ولأنَّ الخَلقَ هو فعل المستحيل يتحقّق إعجازًا؛ فهو غير المتوقّف نموًّا وازديادًا، بل حاله من حال الكون المتمدّد تسارعًا؛ ولذلك فالخَلق بلا انقطاع يحتوي نشوءًا معجزًا، والنّشوء بلا انقطاع يحتوي نموًّا، والنّمو بلا انقطاع يحتوي ارتقاءً يحقّق الرّفعة في دائرة الممكن.

ولأنَّ فعل المستحيل بيد الخالق فالخالق لو لم يفعل مستحيلًا ما نشأ الخلق وجودًا مُعجزًا، وما أمكن للإنسان ارتقاءً. إنَّها حلقات متداخلة (خلق، نشوء، ارتقاء)، ولا يمكن أن تستقل حلقة عن أخرى؛ فحيثما كان الخلق كان النّشوء إعجازًا، وحيثما كانا (الخلق والنّشوء إعجازًا) كان الارتقاء، أي، لا ارتقاء بلا نشوء، ولا نشوء بلا خلقٍ، ولا خلق بلا خالق، ومن هنا لا نميّز بين ما هو مستحيل إلّا بفعلٍ مطلق، وما هو نشوء إلّا بفعل معجز، وما هو ممكن إلّا بعمل واستطاعة.

فالنُّشوء خلق من خلقٍ، وإنبات من نبتٍ، وإعجاز من معجز؛ فالأرض عندما كانت مرتقة في السّماء كانت بيئة صالحة للإنبات بلا تكاثر، وهذه هي النشأة المعجزة (الأزواج) كما هو حال نشأة آدم وزوجه من تراب: {وَاللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا}[201]؛ فإنبات آدم وزوجه من الأرض كان ظهورًا مشاهدًا مثل النبتة بالتّمام، غير أنَّ النبتة ذات جذور ضاربة في الأرض، أمّا آدم وزوجه فلا ضرب لهما في الأرض إلَّا سلالة، ولهذا؛ فخطاهما تمشي عليها استقامة قامة.

وهذا الأمر ينبغي أن يلفت نظر الإنسان إلى أهميَّة الأرض كونها الأم الأولى والوطن الأوَّل الذي فيه بنو آدم إخوة مختلفون، ولِمَ لا يظلّون إخوة مختلفين؟ فالاختلاف مشيئة الخالق في خلقه وليس عيب أخلاق، بل العيب الذي ينبغي أن يُجنّب هو الخلاف الذي بأسبابه تقاتل ابنا آدم؛ حيث سيطرت الشّهوة والرّغبة الشخصانية على أحدهما؛ فأقصى أخاه، ثمّ قتله؛ ولأنَّ الانفلات

[201] نوح 17.

كان مع بداية الخلق فبعث الله الرُّسُل تترى مصداقًا لقوله تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}[202]، فكانوا رُسُلًا مكرّمين بالإيمان والعزيمة متحدّين الصّعاب حتى قهروها؛ فسلام على المرسلين.

ولأنّ النّشوء منبت الحياة نموًّا معجزًا فهو لا يتوقّف خَلقًا؛ ولأنّهَ كذلك فَلِمَ لا يكون كذلك لا يتوقّف ولا يتخلّف على أيدي بني آدم تعليمًا، وصحّةً، وزراعةً، وصناعةً، وبناءً وإعمارًا، وإصلاحًا، وغزوًا للفضاء حتى بلوغ الحلّ الممكِّن من بلوغ الجنّة نعيمًا وفردوسًا.

ولأنَّ العلاقة بين (الخَلق، والنّشوء، والارتقاء) علاقة ارتباطية فهي مثل علاقة (الأرض والبذرة والسّماء)؛ فالبذرة لو لم تُبذر أو تُغرس في الأرض ما نبتت ونمت على ظهرها ارتقاءً في اتجاه السّماء وكأنّها تأمل بلوغها غاية.

ولأنَّ العلاقة بين الخَلق والنّشوء والارتقاء علاقة بين مستحيل ومعجز وممكن؛ فهي علاقة اعتماديَّة بين السَّابق (الخَلق)، والتَّابع (الإعجاز نشوء)، واللاحق (الارتقاء)؛ ولذلك وجبت المعرفة على اللاحق لكلّ تابع لما قبله سابق، ممّا يجعل الماضي البعيد هو المستقبل بعينه، أي: لو كان أبونا آدم على قيد الحياة وسألناه: ما المستقبل المأمول؟ لقال: تلك الجنّة (ذلك الماضي الذي نشأ فيه ارتقاء قمّة ورفعة).

---

[202] المؤمنون 44.

ومن هنا؛ فإنّ التفكير في المستقبل يربط المفكّر وما يفكّر فيه بالماضي المأمول، ومع أنَّ الزّمن في أذهاننا مقسّم بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، فإنَّ التفكير تدبّرًا في الوقت الآن لا يمكن أن يفصل مستقبل آدم المأمول عمَّا نشأ فيه يقينًا؛ ولذلك فالزّمن الحاضر كما يربطنا بما جرى ارتقاءً يربطنا بما نأمل الارتقاء إليه، سواءً أكان المأمول قد حدث في الماضي أم أنَّه سيعود إلينا ثانيةً.

ومع أنَّ خلق آدم وزوجه كان خلق قمّة في أحسن تقويم، فإنَّ آدم وزوجه انحدرا عن تلك القمّة باختيارهما، ومع ذلك عندما عرفا أنّ العلّة قد ألمت بهما وكانت من وراء انحدارهما هبوطًا دونيًّا (ندما واستغفرا لذنبهما) فتاب الله عليهما، ومن هنا نشأ لديهما أمل العودة إلى تلك القمّة الماضية، وهي بالنّسبة لهما هي الأمل المفقود، ولكنّ هذا الأمل المفقود لا يمكن أن يبلغ إلّا بالعمل ارتقاءً فسلام على المرسلين الذين بلغوه جنّة.

وهنا يتداخل الزّمن؛ فما يأمله آدم وبنوه المصلحون هو: تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه، ولكن كيف تكون تلك الجنّة هي الماضي، وتكون هي المأمول ذاته في المستقبل؟

أقول:

الجنّة خُلقت وجودًا في الكون المرتق؛ إذ لا وجود للأيّام، بل هناك اليوم الواحد (اليوم الآخر) الذي لا وجود للظُّلمة فيه، ولا مجال للشّروق والغروب؛ ولأنّه كذلك فلا وجود للماضي والمستقبل، بل الوجود للحاضر ولا شيء غيره.

فالمخلوق عندما ينتهي من الوجود الحي ليس له من الأيّام إلّا الزّمن الحاضر، وكذلك عندما يُبعث حيًّا لن يجد شيئًا مسجَّلًا إلَّا في الزَّمن الحاضر الذي وحده سيكون الشّاهد الأوَّل على الأعمال ثقيلها وخفيفها.

ولذلك؛ فكلّ حياة الإنسان هي زمنٌ حاضرٌ، وكلّ ما يعمله الإنسان فيها ويتمّ استدعاؤه من الذاكرة لا يكون إلَّا حاضرًا في الزّمن الحاضر. أي: كلّ شيء يُفعل أو يُعمل لا بدَّ أن تسجِّله الحياة في صفحاتها حاضرًا.

فالزَّمن دائرة، نقطة بدايتها تتمثّل في كلّ نقطة من نقاطها المتّصلة التي عندما يوضع الأصبع على أيٍّ منها تعد هي مركز منتصفها، وفي الوقت ذاته تعد نقطة نهايتها؛ وهنا يعد الزّمن كلّه حاضرًا، أمَّا الأعمال في الزّمن فهي الشّاهدة على من يقوم بها؛ ولهذا يموت العاملون وتبقى أعمالهم حاضرة ولا وجود لماض يقبرها، بل الماضي يحفظها حاضرًا.

ومن ثمَّ؛ فالنّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ يعملون على إنجازها أو تحقيقها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنَّ الزَّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوامٍ؛ وهذا يعني أنَّ زمن تحديد الأهداف لم يكن زمن تحقيقها ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، مع أنَّ الزَّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماضيًا، وهو في الوقت ذاته بالنّسبة لإنجازها أو بلوغها لا يعد إلَّا مستقبلًا.

ومن ثمّ؛ فتلك الجنّة بمقاييس زماننا هي ماضٍ، ولكن إن سلّمنا بذلك ألا يعني أنَّ الماضي سيظل ماضيًا ولن يعود؟ وإذا

كان كذلك فلا أمل فيه؛ ممّا يجعل التسليم به وكأنّنا نقول: لا وجود للجنّة في المستقبل.

ولهذا فمن يعمل، ثمّ يزدد نموًّا وارتقاءً؛ فلن يبلغ جنّة غير تلك الجنّة التي هي حاضر آدم وزوجه، وهنا، أقول:

إنَّ الماضي المأمول هو المستقبل بعينه؛ فمن شاء بلوغه فليعمل على مستقبل يربطه بالماضي ارتقاءً، ولكن هذا لا يعني الاجترار، ولا يعني الالتفات إلى الوراء، بل يعني: التقدُّم تجاه المأمول نشوءًا وإبداعًا منتجًا لكلِّ جديد مفيد يرتقي بالنَّاس إلى تلك الجنَّة، وحيث ذلك الماضي الذي خُلقت فيه الأزواج التي كان آدم وزوجه على رأسها في أحسن تقويم (قمّة).

فالزَّمن متصل بلا فواصل، وما يسمى بالماضي والحاضر والمستقبل لا يزيد على كونه فواصل من عندنا، وليس من عند الزَّمن؛ فالزَّمنُ هو الزَّمن حاضرًا، ولكن الأحداث التي تقع فيه تفصل بينها الأيَّام التي بها تُعد السّنون، وفيها تُصنَّف الأعمال بين من ثقلت موازينه من أجل العودة إلى تلك الجنّة أملًا وارتقاءً، ومن خفَّت موازينه انحدارًا؛ إذ لا أمل له في ماضٍ لم يأمله مستقبلًا.

ولذا؛ فَخَلق الكون مُرتقًّا، ونشوء آدم وزوجه فيه ارتقاءً، ثمَّ انحدارهما منه والأرض هبوطًا لا يلغي من دائرة الممكن أمل العودة إلى ذلك الكون متى ما تمّ رتقه كما كان أوَّل مرَّة، قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}[203].

[203] العنكبوت 20.

يُفهم من هذه الآية أنَّ الخَلقَ والنشوء قد أوجدا كونًا أوَّلًا (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)، ثمّ أصبح الارتقاء فرصة، ولأنَّه فرصة فلا ينبغي أن تضيع من أيدي من سُنحت لهم؛ ولهذا فأوَّل المغتنمين لها استغفارًا وتوبة كان آدم عليه السَّلام؛ فتاب الله عليه بأمل العودة إلى حيثما كان عليه قمّة؛ فسلام على آدم.

وبما أنَّ الارتقاء لا يكون إلَّا حيثما توجد القمّة المأمولة؛ إذن: فلا ارتقاء إلَّا إلى حيثما هي كائنة، ولأنَّها قمّة كائنة وجودًا فهي وجود سابق على من يرغبها أملًا لاحقًا، ومن هنا فالزّمن ليس هو ما نأمله، بل الذي نأمله ما يحتويه الزّمن وجودًا؛ ولذلك فالزَّمن هو الزَّمن؛ فحيثما كان الماضي يكون المستقبل حاضرًا.

ومن ثمّ؛ فالأهداف التي تصاغ في خطّة بحثية في الزّمن الحاضر هي الأهداف المأمول إنجازها في الزّمن المستقبل الذي يوم أن تنجز فيه يكون هو الشّاهد (الحاضر) على إنجازها، كما كان هو الشّاهد حضورًا يوم تحديدها وصياغتها.

فالكون الذي كانت بداية الخلق منه حاضرة هو الكون الذي ستكون نهاية الخلق إليه حاضرة، أي: لا وجود لشيء إلَّا في حاضرٍ؛ وبما أنَّ خلق الكون مُرتقًا كان البداية، إذن: فالنّهاية لا تكون إلَّا برتقه ثانية، (ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) النشأة التي لا يمكن لنا معرفة كيفيّتها؛ لأنّ أمر معرفة الكيفية الآخِرة مستحيل؛ ولأنّه أمر مستحيل فهو خارج دائرة الارتقاء إليه ممكنًا.

ولأنَّه خارج دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فلا إمكانية لتصوّره، ولا إمكانية لمعرفة كيفيّته؛ ولذلك فسيظل المستحيل

مستحيلًا وإن علمناه مستحيلًا، قال عزَّ وجلَّ: {وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ}[204].

أي: إنَّ نَشأة أخرى قد حُدِّدت وستأتي لا محالة، وسينشأ الخلق عليها بعد أن ينتهي الكون تمدّدًا وبأيّة علّة، والاستحالة هنا هي التي لا تكون إلّا ممكنًا بين يدي الله؛ إذ لا استحالة أمامه، وهذا ما أعلمنا به الرُّسُل عليهم السَّلام وفقًا لما أعلمهم به الله فسلام على المرسلين بما جاءوا به مرسلين وسلام على المرسلين بما فعلوا وعملوا واحديّين.

ومن ثمّ؛ فبنو آدم يعرفون أنَّ أساس النّشوء الآدمي هو من الأرض، وكذلك هم يعرفون أنّ الأموات يتحلّلون وينتهون فيها أثرًا باليًا، ويدركون أنَّ للحياة بداية ونهاية، ثمّ أنَّ للموت نهاية (موت الموت)؛ ولهذا فالمؤمنون يعرفون أنَّ من بعد النّهاية بداية أخرى على كيفية أخرى، ولا تكون إلّا مستحيلًا (وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ) أي: قد عرفنا من رسالات الرُّسُل عليهم السَّلام أنَّ السَّاعة آتية ولا شكّ في ذلك، ولكنّنا لا نعلم ساعتها مصداقًا لقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[205].

ولذلك؛ فلا نشوء خَلقيًّا مُعجز إلَّا وفعل الخَلق يسبقه، ولا ارتقاءَ خُلقيًّا إلّا ونمو الخُلق منشؤه، ومن هنا فلا يولد الشيء المعجز

---

[204] الواقعة 61.

[205] الأعراف 187.

إلّا من الشيء المعجز، وفي المقابل الخالق يخلق الشيء من لا شيء استحالة، كما هو استحالة خلق الكون وفتقه أكوانًا.

ولأنَّ الخَلق هو فعل الوجود الأوَّل؛ فالنّشوء من بعده وجود آخر مُعجز، ومع أنَّه وجود آخر، فإنَّه لولا الوجود الأوَّل ما كان شيء آخر، ولذا وراء كلّ نشوء مُعجز نشوء من ورائه نشوء واستحالة: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[206]. أي: لو أجرينا مقارنة بين النّشوء الأوَّل (الطّين) المعجز ثمّ (النّطفة) المعجزة، والنّشوء الآخر جنينًا متكاملًا معجزًا فلا نشاهد علاقة، ولكن مشيئة الخالق شاءت أن تكون بداية النّشوء مرحلة قابلة للنّمو والارتقاء من حالة إلى حالة أخرى تختلف عنها مشاهدة.

ولذلك؛ فلولا الطّين ما نشأت الأزواج، ولولا الأزواج ما نشأت النّطفة، ولولا النّطفة ما كان المولود شيئًا آخر، وهنا يصبح الخلق بين أيدي النَّاس عجزًا واستحالةً.

ومع أنَّ بداية النّشوء لم تكن على الكثرة، فإنَّ نهايته لا تكون إلّا عليها؛ فالبذرة الواحدة نشوء تنتج أكثر من سُنبلة، وفي دائرة الممكن ارتقاء السُّنبلة تمتلئ بذورا متعدّدة، وهذا يجعل عدد البذور المنتجة من البذرة الواحدة مئات؛ ولذلك فالتكاثر يتضاعف نموًّا

[206] المؤمنون 12- 14.

وكثرة؛ ليُسهم في إشباع حاجات الإنسان المتطوِّرة مع تطوُّره عددًا ومعرفةً.

ومن ثمّ، ينبغي أن يعمل بنو آدم كلّ ما في وسعهم من أجل تحسين حالات النّمو وتحسين أحوالهم إلى ما يجب بلوغه نشوءًا وارتقاءً؛ فالإنسان الذي يعلم أنَّه في دائرة الممكن قادر على أداء العمل؛ فلا ييأس من بلوغ غير المتوقَّع نتيجة، ولأنَّ دائرة الممكن لا تقتصر على المتوقَّع فقط؛ فلِمَ لا ينتبه الجميع ويعملون على تحقيق غير المتوقَّع تعليمًا، وإنتاجًا، وعدلًا، ورفاهيَّةً، وغزوًا للفضاء حتى اكتشاف الأكوان طباقًا واكتشاف ما يضاف إلى المعارف الممكِّنة من إحداث النُّقلة.

ولأنَّ النّشوء الخلقي يؤسّس إلى نشوء مُعجز من بعده نشوء مُعجز، كما هو حال نشوء الأرض التي من بعدها نشوء الأزواج، تمّ نشوء التزاوج من الأزواج كثرة؛ فينبغي أن تكون هذه معطية تلفت العقل الإنساني إليها؛ لينشئ من الأشياء أشياءَ أخرى تسهم في إشباع حاجاته المتطوّرة؛ إذ كلّما التفت الإنسان إلى الأرض معجزة اكتشف شيئًا جديدًا يمدّه بالمزيد المعرفي؛ فالأرض خامات وثروات ثمينة تملأ ظاهرها كما تملأ باطنها، فمن بلغها نشوءًا وارتقاءً معرفيًّا تمكَّن من تشييد المزيد نشوءًا حتى معرفة المستحيل وبلوغه مستحيلًا، وفي المقابل من تُلهه نفسه شهوة فلن يجد نفسه إلّا على حالة من الانحدار والدّونية التي لا تزيده إلّا تقليل شأن.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النشوء ارتقاءً لو لم ينحدر بداية لكان إلى يومه هذا على قمّة الزّمن الحاضر في حُسن خَلقه، وحُسن خُلقه، ولكنّ الغفلة قد أخذته فعصى ربَّه؛ فانحدر إلى ما

لا ينبغي، ثمّ حاول النّهوض، ولكنّه مازال يحاول وهو بين أمل ويأس، أمل الارتقاء إلى ذلك الماضي، ويأس بلوغه بعلل الشّهوة التي لا ترى الأنا إلّا مركزا على حساب الغير.

وعليه:

فالنّشوء لا يمكن أن يكون صفرًا، بل الصّفرُ هو نقطة ما قبل وجوده أو نموّه؛ فالنّمو لا يبدأ إلَّا من نقطة الصّفر، ولا ينتهي قمّة إلّا إليها، حيث التوقّف عن النّمو ارتقاء، أي: عندما يبلغ النّمو نقطة لا ينمو من بعدها شيء، تعدّ هذه النقطة صفريَّة؛ إذ لا شيء من بعدها إلَّا الاستحالة وهي النقطة التي لا شيء من بعدها إلَّا الانحدار إلى نقطة صفر البداية[207]، قال تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[208]؛ فسلام على المرسلين كُلِّهِم بما بعثوا به لأقوامهم وشعوبهم وقراهم ومدنهم وللكَّافة، وسلام على المرسلين على ما بشّروا به، ودعوا إليه، وحرَّضوا عليه، وأمروا به،

---

[207] عقيل حسين عقيل، الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018، ص 17 . 31.

[208] الأنبياء 104 . 112.

ونهوا عنه: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[209].

أ.د. عقيل حسين عقيل

القاهرة

2018-2-21م

[209] الصافات 180. 182.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له (136) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

المؤلّفات

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا،

2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 ـ إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62. من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64. من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65. من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66. من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70. من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71. الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . الخدمة الاجتماعيّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

132 – كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعية (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – مفاهيم الصَّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (136) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.